تفسير الآيات (١٣٦-١٤٠) من سورة الأنعام
دراسة في التفسير ومصادره

د٠ نجاح بنت محمد يوسف بنجابي (*)

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فهذا بحث في مادة بعنوان: تفسير الآيات (١٣٦-١٤٠) من سورة الأنعام، دراسة في التفسير ومصادره.

أهمية الموضوع وسبب اختياري له:

القرآن كلام الله تعالى، وهو دستور الحياة، وقد اعتنى العلماء به قديماً وحديثاً أشد الاعتناء، ومن ذلك نجد كثرة التأليف في تفسيره، لاستنباط معانيه واستخراج دُرره، حتى امتلأت المكتبات بكتب التفسير، والقارئ لهذه التفاسير لا يملُّ منها، فقد يرى من اللطائف والنكت في تفسير ما لا يجده في تفسير آخر، فهو يجد في قراءته لكل تفسير فائدة ومتعة، فإذا تيسَّر له قراءة جملة لأهم هذه التفاسير، وجمع ما فيها من أقوال ولطائف ودرر، فإنه يخرج بفوائد جمّة، وبفهم عميق وشامل للآيات، ومن هنا تكمن أهمية دراسة التفسير المقارن. وقد اخترت هذه الآيات خاصة لأهميتها في بيان الأحكام المتعلقة بالأنعام، والتي سميت باسمها هذه السورة العظيمة.

(*) أستاذ مساعد بقسم المواد العامة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز – جدة – المملكة العربية السعودية.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث، وخاتمة ثم ختمته بالفهارس، وفيما يأتي تفصيل هذه الخطة:

***المقدمة:** وتشمل سبب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث، ومنهجي في كتابته.

***تمهيد:** ويتضمن ما يأتي :

اسم السورة ، وسبب التسمية، ونوعها.

عدد آيات السورة، وفضلها، ومناسبتها لما قبلها.

أبرز الموضوعات التي تحدثت عنها السورة.

تفسير الآيات (١٣٦-١٤٠) من سورة الأنعام.

المبحث الأول: عادات المشركين الفاسدة في نتاج أموالهم، الآية (١٣٦).

المبحث الثاني: عادات المشركين الفاسدة في قتلهم أولادهم، الآية (١٣٧).

المبحث الثالث: عادات المشركين الفاسدة في أصول أموالهم، الآية (١٣٨).

المبحث الرابع: عادات المشركين الفاسدة في أجنة الأنعام، الآية (١٣٩).

المبحث الخامس: تذييل ببيان خسران المشركين وسفاهتهم في عاداتهم الباطلة، الآية (١٤٠).

الخاتمة: وأذكر فيها أهم نتائج البحث، وتشمل أبرز الهدايات الربانية، والأحكام الشرعية من دراسة الآيات.

الفهارس العلمية.

منهج البحث:

راعيت في منهج البحث ما يأتي:

١. جمعت أقوال المفسرين المشهورين قديماً وحديثاً.

٢.قارنت بين أقوال المفسرين، ورجحت بينها إذا وُجد مجال للترجيح، أما إذا كانت الأقوال من باب التنوع في التفسير فلا أرجح بينها.

٣.جمعت أقوال العلماء في القراءات، ولم أقتصر على القراءات السبع.

٤.رجعت للمعاجم اللغوية لبيان معاني المفردات، بالإضافة إلى ما ورد في كتب التفاسير.

٥.رجعت لكتب إعراب القرآن، لبيان أوجه الإعراب في الآية، بالإضافة إلى أقوال المفسرين.

وأسأل الله تعالى أن يمنَّ علينا بفهم كتابه، والعمل بما جاء فيه من الأحكام، وأن يجعلنا هداة مهديين، إنه سميع مجيب.

تمهيد

اسم السورة، وسبب التسمية

اسمها: سورة الأنعام (١).

سبب التسمية: سميت بذلك لورود ذكر الأنعام فيها قال تعالى: {وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ} [(١٣٦) سورة الأنعام]

ولأن أكثر أحكامها الموضحة لجهالات المشركين تقرباً بالأنعام إلى أصنامهم مذكورة في هذه السورة (٢).

نوع السورة:

في مكية ومدنية السورة أقوال:

القول الأول: أن كلَّ آياتها قد نزلت في مكة.

ثم أصحاب هذا القول ينقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول: أنها نزلت بمكة جملةً واحدة.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها نزلت بمكة ليلاً جملة واحدة.

الفريق الثاني: أنها نزلت بمكة ولكن ليست جملة واحدة، إنما المراد أنه لم يتخلل نزول آياتها نزولاً لآيات من سورة أخرى.

وحكى الإمام اتفاق الناس على القول بنزولها جملة، ثم استشكل ذلك بأنه كيف يمكن أن يقال حينئذ في كل مرة من آياتها إن سبب نزولها الأمر الفلاني مع أنهم يقولونه.

---

(١) لم يذكرها السيوطي في السور التي لها اسمين أو أكثر، الإتقان ج١/ص١٧٢.

(٢) صفوة التفاسير ج١/ص٣٧٧.

والقول بأن مراد القائل بذلك عدم تخلل نزول شيء من آيات سورة أخرى بين أوقات نزول آياتها، مما لا تساعده الظواهر بل في الأخبار ما هو صريح فيما يأباه، والقول بأنها نزلت مرتين دفعة وتدريجاً خلاف الظاهر، ولا دليل عليه.

ويؤيد ما أشرنا إليه من ضعف الأخبار بالنزول جملة ما قاله ابن الصلاح في فتاويه: الحديث الوارد في أنها نزلت جملة ورويناه من طريق أبي بن كعب ولم نر له سنداً صحيحاً، وقد روي ما يخالفه.

ومن هذا يعلم ما في دعوى الإمام اتفاق الناس على القول بنزولها جملة[1].

القول الثاني: أنها نزلت بمكة إلا بعضَ آياتٍ منها نزلت بالمدينة.

وتنوعت الروايات التي تحدد هذه الآيات:

◘أخرج ابن راهويه في مسنده وغيره عن شهر بن حوشب أنها مكية إلا آيتين (قل تعالوا أتل) والتي بعدها.

◘ قال الماوردي: وهي مكية في قول الأكثرين، قال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة، قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} [(٩١) سورة الأنعام] نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الأشرف اليهوديين.

والأخرى قوله: {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [(١٤١) سورة الأنعام].

---

(١) مناهل العرفان ج١/ص١٩٩، وروح المعاني ج٧/ص٧٦.

نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري.

وقال ابن جريج: نزلت في معاذ بن جبل [١].

■وقال الكلبي: الأنعام كلها مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة في فنحاص اليهودي وهي: { قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى } [(٩١) سورة الأنعام] مع ما يرتبط بهذه الآية وذلك أن فنحاصاً قال: ما أنزل الله على بشر من شيء[٢].

■وأخرج النحاس في ناسخه عن الحبر أنها مكية إلا ثلاث آيات منها فإنها نزلت بالمدينة :

{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [(١٥١) سورة الأنعام].

■وأخرج أبو الشيخ أيضا عن الكلبي وسفيان قالا: نزلت سورة الأنعام كلها بمكة إلا آيتين نزلتا بالمدينة في رجل من اليهود وهو الذي قال: (ما أنزل الله على بشر من شيء) الآية، أخرج ابن المنذر عن أبي جحيفة نزلت سورة الأنعام كلها بمكة إلا (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) فإنها مدنية [٣].

■وقال غير واحد كلها مكية إلا ست آيات (وما قدروا الله حق قدره) إلى تمام ثلاث آيات (وقل تعالوا أتل) إلى آخر الثلاث.

■قال الثعلبي: سورة الأنعام مكية، إلا ست آيات نزلت بالمدينة: قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } [(٩١) سورة الأنعام] إلى آخر ثلاث آيات

---

(١) النكت والعيون ج٢/ ص٩١.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٢٦٥.

(٣) روح المعاني ج٧/ص٧٥.

وقوله: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...} [(١٥١) سورة الأنعام] إلى آخر ثلاث آيات.

قال ابن عطية: وهي الآيات المحكمات(١).

◘ قال الرازي: مكية إلا الآيات: ٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ (٢).

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (٢٠).

{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} (٢٣).

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} (٩١).

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}(٩٣).

{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}(١١٤).

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (١٤١).

---

(١) تفسير القرطبي ج٦/ص٣٨٢.

(٢) التفسير الكبير ج١٢/ص١١٧.

{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (١٥١).

{ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (١٥٢).

{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }(١٥٣).

عدد آيات السورة وفضلها ومناسبتها لما قبلها

عدد آيات السورة: عدد آياتها عند الكوفيين: مائة وخمس وستون

وعند البصريين والشاميين: مائة وست وستون.

وعند الحجازيين: مائة وسبع وستون [١].

فضل السورة:

عن جابر رضي الله عنه قال: (لما نزلت سورة الأنعام، سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق)[٢].

مناسبة السورة لما قبلها:

ورد في مناسبة سورة الأنعام لما قبلها (سورة المائدة) عدة وجوه:

---

(١) انظر: الإتقان ج١/ص٢١٣، و روح المعاني ج٧/ص٧٦.

(٢) رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، فإن إسماعيل هذا هو السدي ولم يخرجه البخاري، المستدرك على الصحيحين ج٢/ ص٣٤٤ ، التفسير الكبير ج١٢/ ص١١٧.

◘ أن سورة الأنعام افتتحت بالحمد، قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ} [(١) سورة الأنعام]، وسورة المائدة اختتمت بفصل القضاء، قال تعالى: {قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [(١١٩-١٢٠) سورة المائدة].

وفصل القضاء والحمد أمران متلازمان كما قال سبحانه: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [(٧٥) سورة الزمر] (١).

◘ أنه تعالى لما ذكر في آخر المائدة {لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [(١٢٠) سورة المائدة] على سبيل الإجمال افتتح جل شأنه هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله، فبدأ سبحانه بذكر خلق السماوات والأرض، وضم تعالى إليه أنه جعل الظلمات والنور، وهو بعض ما تضمنه ما فيهن، ثم ذكر عز اسمه أنه خلق النوع الإنساني وقضى له أجلاً، وجعل له أجلاً آخر للبعث، وأنه جل جلاله منشئ القرون قرناً بعد قرن، ثم قال تعالى: {قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } [(١٢) سورة الأنعام] فأثبت له ملك جميع المظروفات لظرف المكان، ثم قال عز من قائل: {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [(١٣) سورة الأنعام] فأثبت أنه جل وعلا ملك جميع المظروفات لظرف الزمان، ثم ذكر سبحانه خلق سائر الحيوان من الدواب والطير، ثم خلق النوم واليقظة والموت، ثم أكثر عز وجل في أثناء السورة من الإنشاء والخلق لما فيهن من النيرين

(١) أسرار ترتيب القرآن ص ٩٧.

والنجوم وفلق الإصباح وفلق الحب والنوى، وإنزال الماء و إخراج النبات والثمار بأنواعها، وإنشاء جنات معروشات وغير معروشات إلى غير ذلك مما فيه تفصيل ما فيهن [1].

◘ أنه سبحانه لما ذكر في سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [(٨٧) سورة المائدة] وذكر جل شأنه بعده : {مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} [(١٠٣) سورة المائدة] فأخبر عن الكفار أنهم حرَّموا أشياء مما رزقهم الله تعالى افتراء على الله عز شأنه، وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئاً من ذلك، فيشابهوا الكفار في صنعهم، وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز، ساق جل جلاله هذه السورة لبيان حال الكفار في صنعهم، فأتى به على الوجه الأبين والنمط الأكمل، ثم جادلهم فيه وأقام الدلائل على بطلانه، وعارضهم وناقضهم إلى غير ذلك مما اشتملت عليه القصة، فكانت هذه السورة شرحاً لما تضمنته تلك السورة من ذلك على سبيل الإجمال، وتفصيلاً وبسطاً وإتماماً وإطناباً، وافتتحت بذكر الخلق والملك؛ لأن الخالق والمالك هو الذي له التصرف في ملكه ومخلوقاته، إباحة ومنعاً وتحريماً وتحليلاً، فيجب أن لا يُعترض عليه سبحانه بالتصرف في ملكه [2].

أبرز الموضوعات التي تحدثت عنها السورة:

تدور موضوعات السورة حول عرض ضلالات المشركين فيما يتعلق بالعقائد والعادات والشرائع الباطلة، والرد عليهم بأساليب متنوعة، تارة ببيان

(١) روح المعاني ج٧/ص٧٦.

(٢) روح المعاني ج٧/ص٧٧.

عظمة قدرة الله تعالى وتارة أخرى ببيان فساد معتقداتهم وإقامة الحجة عليهم، ويتخلل ذلك موضوعات متفرقة، ولكنها ترجع إلى مقصود السورة الرئيسي.

قال القرطبي: قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور [١].

فقد تناولت السورة القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان، وهذه القضايا تلخيصها فيما يلي:

- قضية الألوهية.
- قضية الوحي والرسالة.
- قضية البعث والجزاء.

نجد الحديث في هذه السورة مستفيضاً يدور بشدة حول هذه الأصول الأساسية للدعوة الإسلامية، ونجد سلاحها إلى ذلك الحجة الدامغة، والدلائل الباهرة، والبرهان القاطع في طريق الإلزام والإقناع؛ لأن السورة نزلت في مكة على قومٍ مشركين [٢].

وفيما يأتي أذكر تفصيلاً لأبرز الموضوعات التي تحدثت عنها السورة:

- افتتاح السورة بالحمد والثناء.
- ذكر بعض دلائل قدرة الله تعالى في الخلْق والإيجاد.
- تكذيب المشركين ليوم البعث، وإقامة الحجة عليهم.
- عرض مشاهد لموقف المشركين يوم القيامة.
- التذكير بما حلَّ بالأمم السابقة لأخذ العظة والعبرة منهم.
- بيان سعة علم الله تعالى وأنه سبحانه عنده مفاتِح الغيب كلِّها لا يعلمها إلا هو.

---

(١) تفسير القرطبي ج٦/ص٣٨٣.

(٢) صفوة التفاسير ج١/ص٣٧٦.

- توجيه القرآن الكريم للرسول صلى الله عليه وسلم في موقفه من المكذبين.
- ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ومحاجَّته لقومه.
- ذكر قصص بعض الأنبياء والرسل إجمالاً.
- التفصيل في ذكر بعض دلائل قدرة الله تعالى ونعمه التي لا تنضب.
- الرد على طلب المشركين إنزال الملائكة.
- عرض ضلالات المشركين في عاداتهم المتعلقة بالحرث والأولاد والأنعام، بتحريم المباح وتحليل الحرام والرد عليهم.
- أمرُ الله تعالى للنبيِّ صلى الله عليه وسلم أن يتلو على الناس ما حرَّمه الله عليهم، وما أحله لهم ليقلعوا عما كانت عليه الجاهلية من تحريم المباح وتحليل الحرام.
- بيان جزاء من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة.
- بيان أن ملة إبراهيم هي ملة محمد صلى الله عليه وسلم.
- ذكر الدليل على توحيد الألوهية، وتوجيه جميع أنواع العبادة إلى الله تعالى.
- ختام السورة ببيان أن الله تعالى جعل الناسَ بعضَهم خلائف لبعض، ورفع بعضَهم فوق بعض درجات، وكلٌّ ذلك إنما هو ابتلاء لهم، وبيَّن سبحانه وتعالى أنه سريع العقاب، وأنه لغفور رحيم.

تفسير الآيات (١٣٦-١٤٠) من سورة الأنعام.

المبحث الأول: عادات المشركين الفاسدة في نتاج أموالهم، الآية (١٣٦).

قال تعالى: {وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ} [(١٣٦) سورة الأنعام].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر تعالى قبح طريقة مشركي العرب في إنكارهم البعث، ذكر أنواعاً من جهالاتهم تنبيهاً على ضعف عقولهم(١).

وسبب نزول هذه الآية أن العرب كانت تجعل من غلاتها وزرعها وثمارها ومن أنعامها جزءا تسميه لله وجزءا تسميه لأصنامها وكانت عادتها التحفي والاهتبال بنصيب الأصنام أكثر منها بنصيب الله، إذ كانوا يعتقدون أن الأصنام بها فقر وليس ذلك بالله فكانوا إذا جمعوا الزرع فهبت الريح فحملت من الذي لله إلى الذي لشركائهم أقروه، وإذا حملت من الذي لشركائهم إلى الله ردوه وإذا تفجر من سقي ما جعلوا لله في نصيب شركائهم تركوه وإن بالعكس سدوه (٢).

معاني المفردات:

{وجعلوا}: جعل: جعل لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فَعل وصنع وسائر أخواتها، ويتصرف على خمسة أوجه:

الأول: يجرى مجرى صار وطفق فلا يتعدى.

الثانى: يجرى مجرى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد نحو قوله عز وجل: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } [(١) سورة الأنعام].

---

(١) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٨.

الثالث: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه، نحو: {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [(٧٢) سورة النحل].

الرابع: في تصيير الشيء على حالة دون حالة نحو: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً} [(٢٢) سورة البقرة]

الخامس: الحكم بالشيء على الشيء، حقاً كان أو باطلاً، فأما الحق فنحو قوله تعالى: { إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [(٧) سورة القصص].

وأما الباطل فنحو قوله عز وجل: {وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا } [(١٣٦) سورة الأنعام] (١).

{ذرأ}: ذرأ يذرأ ذرءاً، أي خَلق، وأنشأ وبث في الأرض، يقال: ذرأ الله الخلق، يذرؤهم ذرءاً وذروءاً، أي خلقهم، وهو مأخوذ من الظهور ، ومنه قيل: ملح ذُرْ أي لبياضه ، وقيل لظهور الشيب: ذُرْأَة (٢).

قال الراغب: " الذرء إظهار الله تعالى ما أبداه، يقال: ذرأ الله الخلق أي: أوجد أشخاصهم" (٣).

" وقال الطبرسي: الذرء الخلق على وجه الاختراع، وأصله الظهور، ومنه ملح ذراني لظهور بياضه"(٤).

{ من الحرث } : الحرث كل ما يحرث له الأرض من الزروع (٥)، قال الراغب: "الحرث إلقاء البذر في الأرض، وتهيؤها للزرع، ويسمى المحروث حرثا" (٦).

---

(١) غريب القرآن للأصفهاني – (ج ١ / ص ٩٤).
(٢) الماوردي (٤٤٦/١)، وأيسر التفاسير للجزائري – (ج ١ / ص ٤٣٧).
(٣) غريب القرآن للأصفهاني – (ج ١ / ص ١٧٨).
(٤) روح المعاني ج٨/ص٣١.
(٥) أيسر التفاسير للجزائري – (ج ١ / ص ٤٣٧).
(٦) غريب القرآن للأصفهاني – (ج ١ / ص ١١٢).

والحرث في هذه الآية يريد به الزرع والأشجار، وما يكون من الأرض[١].

{والأنعام} الأنعام : الإبل والبقر والغنم .

{ نصيباً } : النصيب الحظ المنصوب أي: حظاً وقدراً معيناً[٢].

{بزعمهم}: قال الراغب: " الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به" [٣].

وقال القرطبي: "والزعم الكذب، قال شريح القاضي: إن لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا"[٤].

أوجه القراءات في الآية:

في قوله تعالى: (بزعمهم):

ورد فيها أربع قراءات وهي:

القراءة الأولى: {بِزَعْمِهِمْ } بفتح الزاي، وهي قراءة الجمهور.

القراءة الثانية: {بِزُعْمِهِمْ } بضم الزاي، وبها قرأ: يحيى بن وثاب، والسلمي، والأعمش، والكسائي[٥].

القراءة الثالثة: {بِزَعَمِهِمْ } بفتح الزاي والعين، وبها قرأ ابن أبي عبلة [٦].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٨.

(٢) غريب القرآن للأصفهاني – (ج ١ / ص ٤٩٤)، وأيسر التفاسير للجزائري – (ج ١ / ص ٤٣٧).

(٣) غريب القرآن للأصفهاني – (ج ١ / ص ٢١٣).

(٤) تفسير القرطبي ج٧/ص٨٩.

(٥) انظر: العنوان في القراءات السبع – (ج ١ / ص ١٤)، و الحجة في القراءات السبع ج١/ص١٥٠، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٤ . وتفسير القرطبي ج٧/ص٩٠.

(٦) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠، و إعراب القرآن ج٢/ص٩٧.

القراءة الرابعة: :{بِزِعْمِهِمْ } بكسر الزاي، وبها قرأ الكسائي وحده[١]، وهذه القراءة ليست من القراءات المتواترة، فهي لم ترد في القراءات السبع، بل وهي ليست من القراءات الأربع عشرة، ولكنها ذكرت في كتب بعض المفسرين، بل ورد عند بعض المفسرين إنكارها، والبعض السكوت عنها، وفيما يأتي أورد بعض هذه الأقوال للفائدة:

◘ "يقال: زَعْم بفتح الزاي وبه قرأت الجماعة، وزُعْم بضمها، وقرأ الكسائي وحده في هذه الآية زِعم بكسر الزاي، ولا أحفظ أحداً قرأ به" [٢].

◘"والكسر لغة لبعض قيس وتميم ولم يقرأ به"[٣].

◘"والكسائي بزعمهم بكسر الزاي، وإن كان أبو حاتم قد أنكر كسرها، وقد حكاه الكسائي والفراء" [٤].

◘"وقرأ الكسائي بِزُعْمِهِمْ فيهما بضم الزاي وهي لغة بني أسد، والفتح لغة الحجاز وبه قرأ باقي السبعة وهما مصدران وقيل الفتح في المصدر والضم في الاسم وقرأ ابن أبي عبلة بفتح الزاي والعين فيهما" "والكسر لغة لبعض قيس وتميم ولم يقرأ به"[٥].

◘"والكسائي بزعمهم بكسر الزاي، وإن كان أبو حاتم قد أنكر كسرها، وقد حكاه الكسائي والفراء" [٦].

◘" فأما قوله: بزعمهم فقرأ الجمهور بفتح الزاي، وقرأ الكسائي والأعمش بضمها، وفي الزعم ثلاث لغات: ضم الزاي وفتحها وكسرها، ومثله السَّقَط

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٨.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٨.
(٣) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠.
(٤) إعراب القرآن ج٢/ص٩٧.
(٥) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠.
(٦) إعراب القرآن ج٢/ص٩٧.

والسُّقط والسِّقط، والفتك والفتك والفتك والزعم والزعم والزعم، قال الفراء: فتح الزاي في الزعم لأهل الحجاز، وضمها لأسد، وكسرها لبعض قيس فيما يحكي الكسائي "[١].

◘"وقرأ الكسائي ويحيى بن وثاب والأعمش: (بزعمهم) بضم الزاي، وهو لغة فيه، وجاء الكسر أيضاً، فهو مثلث كالود [٢].

توجيه القراءات:

القراءة الأولى والثانية هما المتواترتان وفي توجيههما قولان:

الأول: أنهما لغتان بمعنى واحد، فضم الزاي فيهما لغة بني أسد، وبفتحها لغة أهل الحجاز.

الثاني : أنهما متغايران فالمفتوح مصدر، والمضموم اسم [٣].

أوجه الإعراب:

◘" قوله تعالى: {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا } فيه اختصار مجازه: وجعلوا لله نصيباً، ولشركائهم نصيباً"[٤].

قال القرطبي: "وفي الكلام حذف واختصار، وهو: وجعلوا لأصنامهم نصيباً، دلّ عليه ما بعده" [٥].

---

(١) زاد المسير ج٣/ص١٢٩.

(٢) روح المعاني ج٨/ص٣٢.

(٣) انظر: العنوان في القراءات السبع – (ج ١ / ص ١٤)، و الحجة في القراءات السبع ج١/ص١٥٠، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٤، وتفسير القرطبي ج٧/ص٩٠.

(٤) تفسير البغوي ج٢/ص١٣٣.

(٥) تفسير القرطبي ج٧/ص٨٩.

قال الزجاج: "وتقدير الكلام: جعلوا لله نصيباً ولشركائهم نصيباً ودل على هذا المحذوف تفصيله القسمين فيما بعد وهو قوله: {هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا}[1].

◘{جعلوا}: الضمير فيه عائد على كفار العرب، العادلين بربهم الأوثان الذين تقدم الرد عليهم من أول السورة.

◘{ مما ذرأ }: من متعلقة. بـــ (جعل)، و{ما} موصولة وجملة {ذرأ} صلته، والعائد محذوف وقوله سبحانه: {من الحرث والأنعام} متعلق بـــ (ذرأ).

وجوز أبو البقاء أن يكون مما متعلقاً بمحذوف وقع حالاً من قوله تعالى: {نصيباً} وأن يكون {من الحرث} حالاً أيضاً من {ما} أو من العائد المحذوف، و{نصيباً} على كل تقدير مفعول (جعل)، وهو متعد لواحد، وجوز أن يكون متعدياً لاثنين:

أولهما: {مما ذرأ} على أن من تبعيضية.

وثانيهما: {نصيباً}.

وقيل: الأمر بالعكس، واعترض بأنه لا يساعد سداد المعنى [2].

وفي قوله (مّمَّا) بمن التبعيضية دليل على قسم ثالث، وهو ما بقي لهم من غير النصيبين، وفي الكلام حذف دل عليه التقسيم، أي: ونصيباً لِشُرَكَائِهِمْ، ألا ترى إلى قولهم: هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا[3].

◘{فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله}: سموا شركاء لأنهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم فقالوا: هم شركاؤنا فيها .

---

(١) التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٨.

(٢) روح المعاني ج٨/ص٣١.

(٣) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠.

قال الرازي: "وجعل الأوثان شركاءهم لأنهم جعلوا لها نصيباً من أموالهم ينفقونها عليها" [١].

◘{ساء ما يحكمون}: قال الكسائي: " {ما}: في موضع رفع، أي ساء الشيء يفعلون، قال أبو إسحاق: {ما}: في موضع رفع، والمعنى ساء الحكم يحكمون [٢].

قال ابن عطية: "لا يتجه عندي أن يجري هنا {ساء} مجرى (نعم وبئس)، لأن المفسَّر هنا مضمر، ولا بد من إظهاره باتفاق من النحاة، وإنما اتجه أن تجري مجرى بئس في قوله (ساء مثلا القوم)، لأن المفسر ظاهر في الكلام"[٣].

"وفي قوله: (فَقَالُواْ) تأكيد للفعل الذي هو الجعل بالقول، ليتطابق ويتظافر الفعل بالقول، ثم إنهم أخلفوا ذلك، واعترض أثناء الكلام قوله: {بزعمهم}، وجاء أثر قولهم (فَقَالُواْ: هَذَا لِلَّهِ) لأنه إخبار كذب، حيث أخلف ما جعلوه وأكدوه بالقول، ولم يأت ذلك إثر قولهم: (وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا)، لتحقيق ما لشركائهم أنه لهم، والزعم في أكثر كلام العرب أقرب إلى غير اليقين، والحق نبه على أنهم فعلوا ذلك من غير أن يأمرهم الله بذلك، ولا أن يشرعه لهم، وذلك جرى على عادتهم في شرع أحكام لم يأذن فيها ولم يشرعها[٤].

◘ {بزَعْمِهِمْ}يتعلق بـــ {قالوا} وقيل: بما تعلق به (لِلَّهِ) من الاستقرار [٥].

◘ {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم}: الظاهر أن (سَاء) هنا مجراة مجرى (بئس) في الذمّ كقوله: {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم}[(٩٣) البقرة] والخلاف الجاري في (بِئْسَمَا) وإعراب

---

(١) التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٨.

(٢) إعراب القرآن ج٢/ص٩٧.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٩.

(٤) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠، روح المعاني ج٨/ص٣٢.

(٥) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠.

{ما} جارياً هنا كما في قوله: {بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ} [(٩٠) البقرة] وعلى أن حكمهما حكم (بِئْسَمَا) فسرها الماتريدي، فقال: بئس الحكم حكمهم.

وأعربها الحوفي وجعل {ما}: موصولة بمعنى الذي، قال: والتقدير: ساء الذي يحكمون حكمهم، فيكون حكمهم رفعاً بالابتداء، وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه، ويجوز أن يكون {ما} تمييزاً على مذهب من يجيز ذلك في (بِئْسَمَا)، فيكون في موضع نصب، التقدير: سَاء حكماً حكمهم، ولا يكون {يَحْكُمُونَ} صفة (لما) لأن الغرض الإبهام، ولكن في الكلام حذف ، والتقدير: ساء ما مَا يَحْكُمُونَ [(١)].

قال أبو حيان: "وقال ابن عطية: و (مَا) في موضع رفع كأنه قال: ساء الذي يحكمون، ولا يتجه عندي أن تجري هنا سَاء مجرى نعم وبئس، لأن المفسر هنا مضمر ولا بد من إظهاره باتفاق من النحاة وإنما اتجه أن يجري مجرى بئس في قوله: (سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ) لأن المفسر ظاهر في الكلام. انتهى

وهذا قول من شدا يسير من العربية، ولم يرسخ قدمه فيها، بل إذا جرى ساء مجرى نعم وبئس كان حكمها سواء، لا يختلف في شيء البتة من فاعل مضمر، أو ظاهر وتمييز ، ولا خلاف في جواز حذف المخصوص بالمدح والذمّ، والتمييز فيها لدلالة الكلام عليه، فقوله: لأن المفسر هنا مضمر ولا بد من إظهاره باتفاق النحاة إلى آخره كلام ساقط، ودعواه الاتفاق مع أن الاتفاق على خلاف ما ذكر عجب عجاب "[(٢)].

◘ {ساء } " يجري مجرى بئس، فما سواء كانت موصولة أو موصوفة فاعل، والمخصوص بالذم محذوف، أي حكمهم هذا، وقيل إن: {ساء} هنا غير الجارية مجرى بئس، فلا تحتاج إلى مخصوص بالذم، بل إلى فاعل فقط، فان

(١) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣١.

(٢) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣١.

فاعل الجارية يجب أن يكون معرفاً باللام، أو مضافاً في الأشهر، واختاره بعض المحققين" (١).

معنى الآية:

{وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}.

◘ يخبر تعالى عما عليه المشركون المكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم من سفاهة العقل وخفة الأحلام والجهل البليغ، وعدَّد تبارك وتعالى شيئاً من خرافاتهم، لينبه بذلك على ضلالهم والحذر منهم، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا تقدح فيه أصلاً، فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحق، فذكر من ذلك أنهم جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، ولشركائهم من ذلك نصيباً، والحال أن الله تعالى هو الذي ذرأه للعباد وأوجده رزقاً (٢).

وفي قوله تعالى: (مِمَّا ذَرَأَ) : أنه تعالى كان أولى أن يجعل له الأحسن والأجود، وأن يكون جانبه تعالى هو الأرجح؛ إذ كان تعالى هو الموجد لما جعلوا له منه نصيباً، والقادر على تنميته دون أصنامهم العاجزة عن ما يحل بها، فضلاً عن أن تخلق شيئاً أو تنميه(٣).

◘{جعلوا لله}:

كان هذا مما زينه الشيطان ورسوله لهم، حتى صرفوا من مالهم طائفة إلى الله بزعمهم، وطائفة إلى أصنامهم.

---

(١) روح المعاني ج٨/ص٣٢.
(٢) التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٧، وتفسير السعدي ج١/ص٢٧٥.
(٣) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠.

روي عن ابن عباس ومجاهد والسدّي: أن العرب كانت تجعل من غلاتها وزروعها وأثمارها وأنعامها جزءاً تسميه لله، وجزءاً تسميه لأصنامها، وكانت عادتها تبالغ وتجتهد في إخراج نصيب الأصنام أكثر منها في نصيب الله [1].

قال ابن الجوزي: "وكانوا إذا زرعوا خطوا خطاً، فقالوا: هذا لله، وهذا لآلهتنا"[2].

◘{نصيباً}:

معنى ما جعلوه نصيباً لله:

ما جعلوه لله: ما يصرف في وجوه البر من الصدقة على المساكين، وزوّار بيت الله، والضيفان ونحوها [3]

معنى نصيب الشركاء في الحرث:

نصيبهم في الزرع جزء منها، يجعلونه مصروفاً في النفقة عليها وعلى خدامها[4].

معنى نصيب الشركاء في الأنعام:

وفي نصيبهم من الأنعام ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه كنصيبهم من الزرع مصروف في النفقة عليها وعلى خدامها . **والثاني** : أنه قربان لأوثانهم كانوا يتقربون به إليها. **والثالث** : أنه البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام [5].

---

(١) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٢٩.

(٢) زاد المسير ج٣/ص١٢٨.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٨، وتفسير البغوي ج٢/ص١٣٣، وتفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠، وتفسير السعدي ج١/ص٢٧٥.

(٤) زاد المسير ج٣/ص١٢٩، والماوردي (٤٤٦/١)، روح المعاني ج٨/ص٣١.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ج٢/ص٢٧٧، زاد المسير ج٣/ص١٢٩، والماوردي (٤٤٦/١)، وتفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠.

◘{فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا}:

كانوا يكذبون في هذه الأشياء لأنه لم ينزل بذلك شرع.

والزعم: الكذب، قال شريح القاضي: إن لكل شيء كنية، وكنية الكذب زعموا[1].

قال ابن عطية:"وقوله: وجعلوا من كذا وكذا نصيباً، يتضمن بقاء نصيب آخر، ليس بداخل في حكم الأول، فبينه بقوله: {فقالوا هذا لله وهذا لشركائنا} ثم اعترضهم أثناء القول بأن ذلك زعم وتقول، والزعم في كثير كلام العرب أقرب إلى غير اليقين والحق"[2].

وروى سعيد بن جبير عن بن عباس أنه قال: "من أراد أن يعلم جهل العرب، فليقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام، إلى قوله: (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم)" قال ابن العربي: "وهذا الذي قاله كلام صحيح، فإنها تصرفت بعقولها العاجزة في تنويع الحلال والحرام سفاهة بغير معرفة ولا عدل، والذي تصرفت بالجهل فيه من اتخاذ الآلهة أعظم جهلاً وأكبر جرماً، فإن الاعتداء على الله تعالى أعظم من الاعتداء على المخلوقات، والدليل في أن الله واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في مخلوقاته، أبين وأوضح من الدليل على أن هذا حلال وهذا حرام، وقد روي أن رجلاً قال لعمرو بن العاص: إنكم على كمال عقولكم ووفور أحلامكم، عبدتم الحجر، فقال عمرو: تلك عقول كادها باريها، فهذا الذي أخبر الله سبحانه من سخافة العرب وجهلها أمر أذهبه الإسلام، وأبطله الله ببعثه الرسول عليه السلام، فكان من الظاهر لنا أن نميته حتى لا يظهر، وننساه حتى لا يذكر، إلا أن ربنا تبارك وتعالى ذكره بنصه، وأورده بشرحه، كما ذكر كفر الكافرين به، وكانت الحكمة في ذلك والله

---

(١) تفسير القرطبي ج٧/ص٨٩.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٨.

أعلم أن قضاءه قد سبق، وحكمه قد نفذ، بأن الكفر والتخليط لا ينقطعان إلى يوم القيامة"[١].

فجمعوا بين محذورين محظورين، بل ثلاثة محاذير، منتهم على الله في جعلهم له نصيباً، مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع، وإشراك الشركاء الذين لم يرزقوهم، ولم يوجدوا لهم شيئاً في ذلك، وحكمهم الجائر في أنَّ ما كان لله لم يبالوا به ولم يهتموا، ولو كان واصلاً إلى الشركاء، وما كان لشركائهم اعتنوا به واحتفظوا به، ولم يصل إلى الله منه شيء [٢].

وذلك أنهم إذا حصل لهم من زروعهم وثمارهم وأنعامهم التي أوجدها الله لهم شيء، جعلوه قسمين:

قسماً: قالوا هذا لله بقولهم وزعمهم، وإلا فالله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه، ولا يقبل عمل من أشرك به.

وقسماً: جعلوه حصة شركائهم من الأوثان والأنداد [٣].

قال الرازي: "فإن قيل: أليس أن جميع الأشياء لله فكيف نسبوا إلى الكذب في قولهم: هذا لله؟!

قلنا: إفرازهم النصيبين نصيباً لله ونصيباً للشيطان هو الكذب" [٤].

◘وقوله: {لشركائنا} يريد به الأصنام والأوثان، وسموهم شركاء على معتقدهم فيهم، أنهم يساهمونهم في الخير والشر، ويكسبونهم ذلك، ولأنهم قد أشركوهم في أموالهم بالنصيب الذي قد جعلوه فيها لهم[٥].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج٢/ص٢٧٦، وتفسير القرطبي ج٧/ص٩٠.

(٢) تفسير السعدي ج١/ص٢٧٥.

(٣) تفسير السعدي ج١/ص٢٧٥.

(٤) التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٧.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٨ ، والماوردي (١/٤٤٦).

وشركاؤهم: آلهتهم والشركاء من الشرك، والإضافة إضافة تخصيص، أي الشركاء الذين أشركوا بينهم وبين الله في القربة، وليس معناه الإضافة إلى فاعل ولا مفعول، وقيل: سموا شركاء لأنهم نزلوها منزلة الشركاء في أموالهم، فتكون إضافة إما إلى الفاعل، فالتقدير: وهذا لأصنامنا التي تشركنا في أموالنا، وإما إلى المفعول فالتقدير التي شركناها في أموالنا. وقال ابن عطية: سموهم شركاء على معتقدهم فيهم أنهم يساهمونهم في الخير والشر(١).

◘{فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ}:

ورد في معناها ما يأتي:

المعنى الأول: قال ابن زيد (٢): كانوا إذا ذبحوا ما لله ذكروا عليه اسم الأوثان، وإذا ذبحوا ما لأوثانهم لم يذكروا عليه اسم الله، فهذا معنى (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله)، فكان تركهم لذكر الله مذموماً منهم، وكان داخلاً في ترك أكل ما لم يذكر اسم الله عليه (٣).

المعنى الثاني: كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيباً، وللأوثان نصيباً، فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان لم يبالوا بذلك بل تركوه، وقالوا: إن الله

---

(١) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠.

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني،أخذ معاني القرآن وروى عن والده وابن المنكدر، توفي سنة اثنتين ومائة، طبقات المفسرين للداودي ج١/ص١١.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٩، أحكام القرآن لابن العربي ج٢/ ص٢٧٧، زاد المسير ج٣/ص١٢٩، وتفسير القرطبي ج٧/ص٩٠، و الماوردي (٤٤٦/١)، و تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨٠.

غني عن هذا، وإن سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان، وقالوا: إنها فقيرة محتاجة لا بد من رد نصيبها! [١]

"عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية: إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثاً، أو كانت لهم ثمرة، جعلوا لله منه جزءاً، وللوثن جزءاً، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه، وإن سقط منه شيء فيما سمي للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن فسقى شيئاً جعلوه لله، جعلوا ذلك للوثن، وإن سقط شيء من الحرث والثمر الذي جعلوه لله فاختلط بالذي جعلوه للوثن، قالوا: هذا فقير، ولم يردوه إلى ما جعلوه لله، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه لله فسقي ما سمي للوثن تركوه للوثن، وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فيجعلونه للأوثان، ويزعمون أنهم يحرمونه قربة لله" [٢].

المعنى الثالث: أنه كان إذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به، وإذا هلك أو انتقص شيء مما جعلوا للأصنام جبروه بما جعلوه لله[٣]

المعنى الرابع: يحتمل أن تأويل الآية الكريمة ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالى: أنا

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٨، أحكام القرآن لابن العربي ج٢/ص٢٧٧، زاد المسير ج٣/ص١٢٩، تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠، وتفسير البغوي ج٢/ص١٣٣ ، التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٨، والماوردي (٤٤٦/١)، وتفسير السعدي ج١/ص٢٧٥.

(٢) تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨٠.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٩، أحكام القرآن لابن العربي ج٢/ ص٢٧٧، وتفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠، وتفسير البغوي ج٢/ص١٣٣، الماوردي (٤٤٦/١).

أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه) [١].

وأن معنى الآية أن ما جعلوه وتقربوا به لأوثانهم، فهو تقرب خالص لغير الله، ليس لله منه شيء، وما جعلوه لله على زعمهم، فإنه لا يصل إليه، لكونه شركاً، بل يكون حظ الشركاء والأنداد؛ لأن الله غني عنه، لا يقبل العمل الذي أشرك به معه أحد من الخلق"[٢].

المعنى الخامس: وقال قتادة: كانوا إذا أصابتهم سنة استعانوا بما جزءوا لله، وأكلوا منه، فوفروا ما جزءوا لشركائهم، ولم يأكلوا منه"[٣].

المعنى السادس: إذا حصدوا ما جعلوه لله فوقع منه شيء فيما جعلوه لآلهتهم، تركوه وقالوا: هي إليه محتاجة، وإذا حصدوا ما جعلوه لآلهتهم فوقع منه شيء في مال الله، أعادوه إلى موضعه ، وكانوا يجعلون من الأنعام شيئاً لله، فإذا ولدت إناثها ميتاً أكلوه، وإذا ولدت أنعام آلهتهم ميتاً عظموه فلم يأكلوه[٤].

المعنى السابع: إذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكياً نامياً يزيد في نفسه خيراً، رجعوا فجعلوه لآلهتهم، وإذا زكا ما جعلوه لآلهتهم، تركوه معتلين بأن الله تعالى غني، وما ذاك إلا لفرط جهلهم، حيث أشركوا الخالق القادر جماداً لا يقدر على شيء، ثم رجحوه عليه سبحانه بأن جعلوا الزاكي له، واختار هذه الرواية الزجاج وغيره[٥].

---

(١) صحيح مسلم ج٤/ص٢٢٨٩.

(٢) الماوردي (٤٤٦/١)، وتفسير السعدي ج١/ص٢٧٥.

(٣) تفسير البغوي ج٢/ص١٣٣.

(٤) زاد المسير ج٣/ص١٢٨.

(٥) التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٨، وروح المعاني ج٨/ص٣٢.

◘{ساء ما يحكمون} :

أي ساء الحكم حكمهم فهل أسوأ من هذا الحكم وأظلم حيث جعلوا ما للمخلوق يجتهد فيه وينصح ويحفظ، أكثر مما يفعل بحق الله؟! فبئس ما يقضون(١).

"{سَاء مَا يَحْكُمُونَ} هذا ذمّ بالغ عام لأحكامهم، فيندرج فيه حكمهم هذا السابق وغيره، وقال الزمخشري: في إيثارهم آلهتهم على الله وعملهم ما لم يشرع لهم، وقال الماتريدي: أي بئس الحكم حكمهم حيث قرنوا حقي بحق الأصنام وبخسوني، وقيل: سَاء مَا يَحْكُمُونَ لأنفسهم (٢).

" أي ساء ما يقسمون، فإنهم أخطأوا أولاً في القسْم؛ لأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه، وله الملك وكل شيء له، وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيئته، لا إله غيره ولا رب سواه، ثم لما قسموا فيما زعموا القسمة الفاسدة لم يحفظوها، بل جاروا فيها"(٣).

قال الرازي: " وذكر العلماء في كيفية هذه الإساءة وجوهاً كثيرة:

الأول: أنهم رجحوا جانب الأصنام في الرعاية والحفظ على جانب الله تعالى وهو سفه.

الثاني: أنهم جعلوا بعض النصيب لله، وجعلوا بعضه لغيره، مع أنه تعالى الخالق للجميع، وهذا أيضاً سفه (٤).

الثالث: أن ذلك الحكم حكم أحدثوه من قبل أنفسهم، ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع، فكان أيضاً سفهاً.

---

(١) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٠، وتفسير البغوي ج٢/ص١٣٣، وتفسير السعدي ج١/ ص٢٧٥.

(٢) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٠.

(٣) تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨٠.

(٤) التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٨.

الرابع: أنه لو حسن إفراز نصيب الأصنام لحسن إفراز النصيب لكل حجر ومدر.

الخامس: أنه لا تأثير للأصنام في حصول الحرث والأنعام، ولا قدرة لها أيضاً على الانتفاع بذلك النصيب، فكان إفراز النصيب لها عبثاً، فثبت بهذه الوجوه أنه {سَاء مَا يَحْكُمُونَ} والمقصود من حكاية أمثال هذه المذاهب الفاسدة: أن يعرف الناس قلة عقول القائلين بهذه المذاهب، وأن يصير ذلك سبباً لتحقيرهم في أعين العقلاء، وأن لا يلتفت إلى كلامهم أحد ألبتة" [1].

(١) التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٨.

المبحث الثاني: عادات المشركين الفاسدة في قتلهم أولادهم، الآية (١٣٧).

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [(١٣٧) سورة الأنعام].

معاني المفردات:

◘ {زيَّن}: (زين) الزاء والياء والنون أصل صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه(١).

وحقيقة التزيين: إظهار الجميل وإخفاء القبيح، وقد يتغلب بخذلان الله للعبد، كما يتحقق بتوفيقه له " (٢).

◘ **{ ليردوهم } :**

(ردى) الراء والدال والياء أصل واحد، يدل على رمي أو ترام، وما أشبه ذلك يقال: رديته بالحجارة أرديه رميته، والحجر مرداة... ومن الباب الرَّدى وهو الهلاك يقال: ردي يردى: إذا هلك، وأرداه الله: أهلكه(٣).

وفي الآية اللام لام العاقبة، ومعنى يردوهم : يهلكوهم (٤) .

◘ **{ وليلبسوا } :**

لبس الثوب: استتر به، وألبسه: غيره ، واللباس واللبوس واللبس ما يلبس، وجعل اللباس لكل ما يغطى من الإنسان عن قبيح، وجعل التقوى لباساً على طريق التمثيل والتشبيه، وجعل الجوع والخوف لباساً على التجسيم والتشبيه تصويراً له، وذلك بحسب ما يقولون: تدرع فلان الفقر ولبس الجوع ونحو ذلك.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ج٣:ص٤١، لسان العرب ج١٣: ص٢٠٢.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج٢/ص٢٧٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة ج٢:ص٥٠٦، المعجم الوسيط ج١:ص٣٤٠، تاج العروس ج٣٨: ص١٤٧.

(٤) أيسر التفاسير للجزائري – (ج ١ / ص ٤٣٧).

وأصل اللبس: ستر الشيء، ويقال ذلك في المعاني، يقال: لبست عليه أمره، ويقال في الأمر لبسة: أي التباس، ولابست الأمر: إذا زاولته، ولابست فلاناً: خالطته، وفي فلان ملبس: أي مستمتع ولَبَسَ عليه الأَمْرَ يَلْبِسُهُ، من حَدِّ ضَرَبَ لَبْساً بالفَتْحِ، أَي: خَلَطَهُ أَي خَلَط بعْضَه ببعْضٍ، و(ليلبسوا) أي: ليخلطوا عليهم دينهم(١).

أوجه القراءات:

ورد في كيفية قراءة قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [(١٣٧) سورة الأنعام] أربع قراءات وهي:

◘ **القراءة الأولى:** وبها قرأ الجمهور: وهم أهل الحرمين وأهل الكوفة وأهل البصرة: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}.

وقد وقع الخلاف في الكلمات التالية:

{زَيَّنَ} بفتح الزاي والياء مبنياً للفاعل.

{ قَتْلَ } مفعول به منصوب بالفعل {زين}.

{ أَوْلاَدِهِمْ } بالخفض على الإضافة.

{ شُرَكَآؤُهُمْ} بالرفع على الفاعلية بزين.

توجيه القراءة:

توجيه هذه القراءة واضح أي: زيَّن لكثير من المشركين شركاؤهم، إن قتلوا أولادهم بنحرهم لآلهتهم، أو بالوأد خوف العار والعيلة(٢).

---

(١) تاج العروس ج١٦/ص٤٦٩، المفردات في غريب القرآن ج١/ص٤٤٧ أيسر التفاسير للجزائري – (ج ١ / ص ٤٣٧).

(٢) العنوان في القراءات السبع – (ج ١ / ص ١٤)، الحجة في القراءات السبع ج١/ ص١٥٠، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٥.

"فالحجة لمن قرأ بفتح الزاي: أنه جعل الفعل للشركاء، فرفعهم به، ونصب القتل بتعدي الفعل إليه، وخفض أولادهم بإضافة القتل إليهم" (١).

"شركاؤهم رفع بـــ{ زين } لأنهم زينوا ولم يقتلوا،{قتلَ} نصب بـــ{زين} و {أولادهم} مضاف إلى المفعول، والأصل في المصدر أن يضاف إلى الفاعل، لأنه أحدثه ولأنه لا يستغني عنه، ويستغني عن المفعول فهو هنا مضاف إلى المفعول لفظاً، مضاف إلى الفاعل معنى؛ لأن التقدير: زين لكثير من المشركين قتلهم أولادهم شركاؤهم، ثم حذف المضاف وهو الفاعل، كما حذف من قوله تعالى: {لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ} [(٤٩) سورة فصلت] أي: من دعائه الخير، فالهاء فاعلة الدعاء، أي لا يسأم الإنسان من أن يدعو بالخير ،وكذا قوله: زين لكثير من المشركين في أن يقتلوا أولادهم شركاؤهم. قال مكي: وهذه القراءة هي الاختيار لصحة الإعراب فيها ولأن عليها الجماعة"(٢).

◘القراءة الثانية: وبها قرأ ابن عامر والشاميون وهي: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهِمْ شُرَكَآئِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}.

والخلاف في الكلمات التالية:

{زُيِّنَ} زين بضم الزاي وكسر الياء بالبناء للمفعول.
{قَتْلُ} برفع اللام على النيابة عن الفاعل.
{أَوْلَادَهِمْ} بالنصب على المفعول بالمصدر.
{ شُرَكَآئِهِمْ } بالخفض على إضافة المصدر إليه فاعلاً.

---

(١) الحجة في القراءات السبع ج١/ص١٥٠.
(٢) تفسير القرطبي ج٧/ص٩١.

قارئ هذه القراءة والخلاف في حكمها:

قارئ هذه القراءة هو: ابن عامر، وهي إحدى القراءات السبعة المتواترة.

◘ ولكن ورد خلاف في حكم هذه القراءة، حيث طعن بعض أهل اللغة في صحتها، وزعموا أنها مخالفة لقواعد اللغة والنحو؛ لما فيها من الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول(١) .

ومن ذلك ما ورد عن الزمخشري قال: "وأما قراءة ابن عامر {قتل أولادهم شركائهم} برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردودا، كما سمج:

زَجَّ الْقَلُوصِ أَبِي مَزَادَهْ

فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته؟

والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف {شركائهم} مكتوباً بالياء(٢) ، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب"(٣) .

"وقال أبو غانم أحمد بن حمدان النحوي: قراءة بن عامر لا تجوز في العربية وهي زلة عالم وإذا زل العالم لم يجز اتباعه ورد قوله إلى الإجماع، وكذلك يجب أن يرد من زل منهم أو سها إلى الإجماع فهو أولى من الإصرار على غير الصواب" (٤).

---

(١) انظر: الوافي في شرح الشاطبية ص ٢٦٧، وتقريب المعاني ص٢٥٤-٢٥٥.

(٢) وهو المصحف الذي أرسله عثمان إلى الشام، انظر: الوافي في شرح الشاطبية ص٢٦٧.

(٣) الكشاف ج٢/ص٦٧.

(٤) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٢.

وهؤلاء الذين طعنوا في هذه القراءة فريقان:

الفريق الأول: أنكروا هذه القراءة زعماً أنها مخالفة للقياس وفصيح الكلام.

الفريق الثاني: أنكرها وجهَّل القارئ بها، ونسبه للجهل[١] .

◘ والجمهور على أنها قراءة متواترة صحيحة، ويُرد على من ضعّفها بما يأتي:

١-أن هذه القراءة قراءة متواترة، والقراءة إذا ثبتت بطريق التواتر لا تحتاج إلى ما يسندها من كلام العرب، بل تكون هي حجة يُرجع إليها ويُستشهد بها[٢] .

"قال القشيري: وقال قوم: هذا قبيح وهذا محال، لأنه إذا ثبتت القراءة بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو الفصيح لا القبيح" [٣].

٢-أن قارئ هذه القراءة هو: أعلى القراء السبعة سنداً، وأقدمهم هجرة، من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان بن عفانﷺ وأبي الدرداءﷺ ومعاويةﷺ وفضالة بن عبيد، وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب، وكلامه حجة وقوله دليل؛ لأنه كان قبل أن يوجد اللحن، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وسمع ورأى إذ هي كذلك في المصحف الشامي، وقد قال بعض الحفاظ: إنه كان في حلقته بدمشق أربعمائة عريف يقومون عليه بالقراءة، قال: ولم يبلغنا عن أحد من السلف أنه أنكر شيئاً على ابن عامر من قراءته، ولا طعن فيها.

٣-أن كلام الطاعنين بأنه لا يفصل بين المتضايفين إلا بالظرف في الشعر؛ لأنهما كالكلمة الواحدة أو أشبها الجار والمجرور، ولا يفصل بين حروف الكلمة ولا بين الجار ومجروره.

---

(١) الوافي في شرح الشاطبية ص٢٦٧.
(٢) الوافي في شرح الشاطبية ص٢٦٨.
(٣) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٣.

هو كلام غير معول عليه، وإن صدر عن أئمة أكابر؛ لأنه طعن في المتواتر، وقد انتصر لهذه القراءة من يقابلهم، وأوردوا من لسان العرب ما يشهد لصحتها، نثراً ونظماً، بل نقل بعض الأئمة الفصل بالجملة فضلاً عن المفرد، في قولهم: غلام إن شاء الله أخيك، وصح قوله: فهل أنتم تاركو إلى صاحبي ففصل بالجار والمجرور.

وقال في التسهيل: ويفصل في السعة بالقسم مطلقاً، وبالمفعول إن كان المضاف مصدراً، نحو: أعجبني دق الثوب القصار، وقال صاحب المغرب: يجوز فصل المصدر المضاف إلى فاعله بمفعوله، لتقدير التأخير وأما في الشعر فكثير بالظرف وغيره منها.

وقد علم بذلك خطأ من قال: إن ذلك قبيح أو خطأ أو نحوه، وأما من زعم أنه لم يقع في الكلام المنثور مثله، فلا يعول عليه؛ لأنه نافٍ، ومن أسند هذه القراءة مثبت. وهو مقدم على النفي اتفاقاً، ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب ولو أمة أو راعياً أنه استعمله في النثر لرجع إليه! فكيف وفيمن أثبت تابعي عن الصحابة، عمن لا ينطق عن الهوى؟! فقد بطل قولهم، وثبتت قراءته سالمة من المعارض ولله الحمد [1].

٤-أن لفظ: {شركائهم} ورد مرسوماً بالياء في المصحف الذي بعثه الخليفة عثمان بن عفان ﷺ إلى الشام، وهذا يعد شاهداً قوياً على صحة القراءة [2].

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٤-٢٧٥.

(٢) انظر: الوافي في شرح الشاطبية ص ٢٦٧، وتقريب المعاني ص٢٥٥، وللتوسع في معرفة الرد على منكري هذه القراءة. انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني ج٢/ص٤٦٤، وتفسير القرطبي ج٧/ص٩١-٩٢، والتفسير الكبير ج١٣/ص١٦٩، وتفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٢، وروح المعاني ج٨/ص٣٢-٣٣.

توجيه القراءة:

وأضيف القتل في هذه القراءة إلى الشركاء؛ لأن الشركاء هم الذين زينوا ذلك ودعوا إليه، فالفعل مضاف إلى فاعله على ما يجب في الأصل، لكنه فرق بين المضاف والمضاف إليه، وقدم المفعول وتركه منصوباً على حاله إذ كان متأخراً في المعنى، وأخر المضاف وتركه مخفوضاً على حاله، إذ كان متقدماً بعد القتل. والتقدير: وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم أي أن قتل شركاؤهم أولادهم[1].

القراءة الثالثة: {وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [(١٣٧) سورة الأنعام].

وبها قرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وأبو عبد الملك قاضي الجند صاحب ابن عامر[2] .

توجيه القراءة:

فيها توجيهان:

١- {زُيِّنَ} مبنياً للمفعول {قَتْلُ} مرفوعاً مضافاً إلى {أَوْلَادِهِمْ} {شُرَكَاؤُهُمْ} مرفوعاً على إضمار فعل، أي: زينه شركاؤهم هكذا خرجه سيبويه.

٢- أو فاعلاً بالمصدر أي: {قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} كما تقول: حبب لي ركوب الفرس زيدٌ، هكذا خرجه قطرب فعلى توجيه سيبويه الشركاء مزينون لا قاتلون كما ذلك في القراءة الأولى، وعلى توجيه قطرب الشركاء قاتلون،

---

(١) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ج١/ص٢٦٢، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٠، وتفسير الطبري ج٨/ص٤٤، و زاد المسير ج٣/ص١٣٠، وتفسير القرطبي ج٧/ص٩٣.

(٢) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣١، زاد المسير ج٣/ص١٣٠، روح المعاني ج٨/ ص٣٤.

ومجازه أنهم لما كانوا مزينين القتل جُعلوا هم القاتلين، وإن لم يكونوا مباشري القتل[١].

القراءة الرابعة: وقرأت فرقة كذلك إلا أنهم خفضوا شركائهم، وعلى هذا الشركاء هم الموعودون؛ لأنهم شركاء في النسب والمواريث، أو لأنهم قسيموا أنفسهم وأبعاض منها[٢].

معنى الآية:

{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [(١٣٧) سورة الأنعام].

◘ {وَكَذَلِكَ}: أى: فكما زين لهؤلاء أن جعلوا لله نصيباً ولأصنامهم نصيباً، وهو ما ورد في الآية السابقة.

قال الزمخشري: أو مثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين.

وقال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون {وَكَذَالِكَ} مستأنفاً غير مشار به إلى ما قبله، فيكون المعنى: وهكذا زين[٣].

◘ {زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ}:

{لِكَثِيرٍ} الكثير في هذه الآية يراد به: من كان يئد من مشركي العرب[٤] .

والظاهر: أنهم الذين كانوا يقتلون أولادهم، على ما سيرد من الاحتمالات في تفسير ذلك فيما يأتي:

المراد بقتل الأولاد في الآية:

---

(١) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ج١/ص٢٦٢، وتفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣١.

(٢) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣١.

(٣) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣١، و زاد المسير ج٣/ص١٣٠.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٩، و تفسير البحر المحيط ج٤/ ص٢٣١، و الماوردي ج١/ص٤٤٧.

ورد في معناه عدة معانٍ:

المعنى الأول: قال مجاهد وغيره: زينت لهم قتل البنات مخافة العيلة .

وأشار بهذا إلى الوأد الخفي وهو دفن البنت حية مخافة السباء وعدم الحاجة وما حرمن من النصرة.

المعنى الثاني: وقيل: كان الرجل في الجاهلية يحلف بالله لئن ولد له كذا وكذا غلاماً لينحرن أحدهم، كما فعله عبد المطلب حين نذر ذبح ولده عبد الله[١].

◘ {شُرَكَآؤُهُمْ} المراد بالشركاء في الآية يحتمل عدة معانٍ:

المعنى الأول: الذين كانوا يخدمون الأوثان. قال الكلبي: "كانوا يقتلون أولادهم بالوأد ويذبحونهم قربانا إلى الأصنام، وشركاؤهم هنا هم الشياطين أو القائمون على الأصنام" [٢].

المعنى الثاني: هم الغواة من الناس، من بني آدم الناقلين له عصراً بعد عصر؛ إذ كلهم مشتركون في قبح هذا الفعل وتباعته في الآخرة[٣].

المعنى الثالث: هم الشياطين، الآمرون بذلك المزينون له، قال مجاهد: شُرَكَاؤُهُمْ شياطينهم أمروهم أن يدفنوا بناتهم أحياء خشية العيلة، وسمي الشياطين شركاء: لأنهم أطاعوهم في معصية الله، فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم[٤].

المعنى الرابع: قيل: رؤساؤهم حيث كانوا يقتلون الإناث تكبراً، والذكور خوف الفقر[٥].

---

(١) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣١، وتفسير القرطبي ج٧/ص٩٣، و التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٩، و تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨١، الماوردي ج١/ص٤٤٧، روح المعاني ج٨/ص٣٢.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ج١/ص٣٧٩.

(٣) زاد المسير ج٣/ص١٣٠، التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٩.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٤٩، وتفسير القرطبي ج٧/ص٩٤.

(٥) زاد المسير ج٣/ص١٣٠، وتفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣١.

◘ {لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ}:

{ليردوهم}: أي ليهلكوهم.

وفي نوع اللام قولان:

الأول: أنها لام كي. فهم قصدوا أن يردوهم بذلك كما قصدوا إغواءَهم .

والثاني: أنها لام العاقبة، كقوله: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} [(٨) سورة القصص] أي: آل أمرهم إلى الردى لا أنهم قصدوا ذلك [١].

{وليلبسوا عليهم دينهم الذي ارتضى لهم} أي: ليخلطوا، ويأمرونهم بالباطل ويشككونهم في دينهم؛ لأنهم كانوا على دين إسماعيل، فهذا الذي أتاهم بهذه الأوضاع الفاسدة أراد أن يزيلهم عن ذلك الدين الحق، فزلوا عنه إلى الشرك[٢].

قال ابن عباس: ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بتزيين الشياطين [٣].

وقيل: دِينَهُمُ الذي وجب أن يكونوا عليه.

وقيل: معناه وليوقعوهم في دين ملتبس [٤].

فما سبق من ضلالاتهم، وتشريعاتهم الفاسدة إنما هو من خدع الشياطين، الذين يريدون أن يردوهم بالهلاك، ويلبسوا عليهم دينهم، فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح، ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم، حتى تكون عندهم من الأمور الحسنة والخصال المستحسنة[٥].

---

(١) زاد المسير ج٣/ص١٣٠، التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٩، الماوردي ج١/ص٤٤٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٠، والتفسير الكبير ج١٣/ص١٦٩، وتفسير القرطبي ج٧/ص٩٤.

(٣) زاد المسير ج٣/ص١٣١.

(٤) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٣.

(٥) تفسير السعدي ج١/ص٢٧٥.

◘ {وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا فَعَلُوهُ} :

يقتضي أن لا شيء إلا بمشيئة الله عز وجل، ولو شاء الله أن يمنعهم ويحول بينهم وبين هذه الأفعال، ويمنع الأبوين عن قتل أولادهم، ما فعلوه ولكن اقتضت حكمته للتخلية بينهم وبين أفعالهم استدراجاً منه لهم، وإمهالاً لهم وعدم مبالاة بما هم عليه"(١).

وفي الآية بيَّن تعالى أن كفرهم بمشيئة الله، وهو رد على القدرية الذين يقولون بأن المرء يخلق أفعاله (٢).

وقالت المعتزلة: إنه محمول على مشيئة الإلجاء(٣).

عود الضميران في {فعلوه}:

١- الظاهر عود الضمير على القتل؛ لأنه المصرّح به والمحدّث عنه، والواو في {فَعَلُوهُ} عائد على {كثير}.

٢- وقيل: الهاء للتزيين، والواو للشركاء .

٣- وقيل: الهاء للبس، وهذا بعيد.

٤- وقيل: لجميع ذلك إن جعلت الضمير جار مجرى الإشارة (٤).

◘ {فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} :

أي دعهم مع كذبهم وافترائهم، واجتنبهم وما هم فيه، ولا تحزن عليهم فسيحكم الله بينك وبينهم، ولن يضروا الله شيئاً(٥).

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٠، تفسير السعدي ج١/ص٢٧٥.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٠، و التفسير الكبير ج١٣/ ص١٦٩، وتفسير القرطبي ج٧/ص٩٤، وتفسير ابن كثير ج٢/ص١٨١.

(٣) التفسير الكبير ج١٣/ص١٦٩.

(٤) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٣.

(٥) تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨١، وتفسير السعدي ج١/ص٢٧٥.

و{يفترون} معناه: يختلقون من الكذب والإفك على الله، والأحكام التي يشرعونها، واعتقادهم أنها مباحات لهم، وقولهم: إن لله شركاء، وهو أمر تهديد ووعيد " (١).

قال ابن عباس: "كان أهل الجاهلية إذا دفنوا بناتهم، قالوا: إن الله أمرنا بذلك. فقال: {فذرهم وما يفترون} أي: يكذبون، وهذا تهديد ووعيد، فهو محكم. وقال قوم: مقصوده ترك قتالهم، فهو منسوخ بآية السيف " (٢).

(١) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٤، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٠، تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٣، التفسير الكبير ج١٣/ص١٧٠، تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨٠.

(٢) زاد المسير ج٣/ص١٣١.

المبحث الثالث: عادات المشركين الفاسدة في أصول أموالهم، الآية (١٣٨).

قال تعالى: {وَقَالُواْ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} [(١٣٨) سورة الأنعام].

معاني المفردات:

◘{ حجر } : أي: ممنوعة على غير من لم يأذنوا له في أكلها، وأصل الحجر: الحرام .

وكان الرجل يلقى الرجل يخافه في الأشهر الحرم، فيقول: حجراً أي: حراماً، ومعناه: حرام عليك أن تنالني بمكروه، قال ابن قتيبة: وإنما قيل للحرام حجر؛ لأنه حجر على الناس أن يصيبوه [١].

ويوم القيامة إذا رأى المشركون ملائكة العذاب يقولون: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا} [(٢٢) سورة الفرقان] فظنوا أن ذلك ينفعهم في الآخرة كما كان ينفعهم في الدنيا.

والحجر العقل كقوله جل وعز: {هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ} [(٥) سورة الفجر] وسمي العقل حجراً لمنعه عن القبائح.

وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا} [(٥٣) سورة الفرقان] . أي وجعل بينهما سداً مانعاً فلا يحلو الملح ، ولا يملح العذب [٢].

---

(١) زاد المسير ج٣/ص١٣١

(٢) تذكرة الأريب في تفسير الغريب ج١/ص١٦٩، والتبيان في تفسير غريب القرآن ج١/ص١٩٩، وغريب القرآن ج١/ص٢٠٣، ومقاييس اللغة ج٢/ص١٣٩، وتفسير الطبري ج٨/ ص٤٥، تفسير القرطبي ج٧/ص٩٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٠، والتفسير الكبير ج١٣/ص١٧٠، وأيسر التفاسير للجزائري- (ج ٣ / ص ٩١)

◘ { حرمت ظهورها } : أي لا يركبونها ولا يحملون عليها [١] .

والظهر: الجارحة، وجمعه ظهور، ويعبر عن المركوب بالظهر، ويستعار لمن يتقوى به [٢].

◘ { افتراء عليه }: الافتراء العظيم من الكذب، يقال لمن عمل عملاً، وبالغ فيه إنه ليفري الفري [٣].

أوجه الإعراب:

◘{لا يطعمها}: في موضع رفع كالذي قبله [٤].

◘ وقوله سبحانه {بزعمهم}: متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل: {قالوا}: أي قالوا ذلك متلبسين بزعمهم الباطل من غير حجة .

◘ {وأنعام}: خبر مبتدأ محذوف، والجملة معطوفة على قوله سبحانه: {هذه أنعام} أي: قالوا مشيرين إلى طائفة من أنعامهم: وهذه أنعام، وقيل: إن الإشارة أولاً إلى ما جعل لآلهتهم السابق، وما بينهما كالاعتراض، وهذا عطف على: {أنعام} المتقدم إدخاله فيما تقدم؛ لأن المراد به السوائب ونحوها، وهي بزعمهم تعتق وتعفى لأجل الآلهة [٥].

◘ وقوله سبحانه: {لا يذكرون اسم الله عليها}: صفة لأنعام مسوق من قبله تعالى تعييناً للموصوف، وتمييزاً له عن غيره، كما في قوله تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ

---

(١) تذكرة الأريب في تفسير الغريب ج١/ص١٦٩.

(٢) المفردات في غريب القرآن ج١/ص٣١٧.

(٣) تذكرة الأريب في تفسير الغريب ج١/ص١٦٩، و التبيان في تفسير غريب القرآن ج١/ ص١٩٩.

(٤) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ج١/ص٢٦٢.

(٥) روح المعاني ج٨/ص٣٤.

يَقِينًا} [(١٥٧) سورة النساء] في رأي لا أنه واقع في كلامهم المحكي كنظائره، كأنه قيل: وأنعام ذبحت على الأصنام، فإنها التي لا يذكر اسم الله تعالى عليها، وإنما يذكر عليها اسم الأصنام [١].

◘ {افْتِرَاء عَلَيْهِ}: فانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد؛ لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء [٢].

أوجه القراءات:

◘ {وَحَرْثٌ حِجْرٌ}:

وردت فيها أربع قراءات وهي:

١- {حِجْر} بكسر الحاء وسكون الجيم وهي قراءة الجمهور.

قال الطبري: "وأما القراء من الحجاز والعراق والشام فعلى كسرها، وهي القراءة التي لا أستجيز خلافها لإجماع الحجة من القراء عليها وأنها اللغة الجودى من لغات العرب [٣].

٢- {حُجُر} بضمهما، وبها قرأ أبان بن عثمان[٤] .

٣- {حُجْر} بضم الحاء وسكون الجيم، وقد وردت عن قتادة والحسن والأعرج[٥] .

قال أبو عبيد عن هارون قال: كان الحسن يضم الحاء في حجر في جميع القرآن، إلا في قوله: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ

---

(١) روح المعاني ج٨/ص٣٥.

(٢) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ج١/ص٢٦٢، التفسير الكبير ج١٣/ص١٧٠، روح المعاني ج٨/ص٣٤.

(٣) تفسير الطبري ج٨/ص٤٥.

(٤) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٠.

(٥) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٠.

وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا} [(٥٣) سورة الفرقان] فإنه كان يكسرها(١).

٤- {حَجْر} بفتح الحاء وإسكان الجيم، وقد وردت عن الحسن وقتادة.

٥- {حِرج} بكسر الحاء وتقديم الراء على الجيم، وقد رويت عن ابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وأبيّ وابن الزبير رضي الله عنهم، والأعمش وعكرمة وعمرو بن دينار.

وأصله حَرِج، بفتح الحاء وكسر الراء، ولكنه خفف ونقل.

وفي توجيها قولان:

أحدهما: أنه من المقلوب مثل عميق ومعيق وجبذ وجذب (٢).

الثاني: وهو أصح: أنه من الحِرج، فإن الحِرج بكسر الحاء، لغة في الحَرج بفتح الحاء، وهو الضيق والإثم، فيكون معناه الحرام، ومنه فلان يتحرج أي يضيق على نفسه الدخول فيما يشتبه عليه من الحرام(٣).

قال الطبري: "وهي لغة ثالثة، معناها ومعنى الحجر واحد، وهذا كما قالوا: جذب وجبذ وناء ونأى، ففي الحجر إذن لغات ثلاث: حِجر بكسر الحاء والجيم قبل الراء، وحُجُر بضم الحاء والجيم قبل الراء، وحِرِج بكسر الحاء والراء قبل الجيم" (٤).

◘ {بِزَعْمِهِمْ}: فيها أوجه القراءات الوارد ذكرها في المبحث الأول وهو تفسير قوله تعالى: {وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا

---

(١) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٤، تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٣.

(٢) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ج١/ص٢٦٢، تفسير الطبري ج٨/ص٤٥، التفسير الكبير ج١٣/ص١٧٠.

(٣) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٤، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١.

(٤) تفسير الطبري ج٨/ص٤٥، تفسير القرطبي ج٧/ص٩٤، تفسير البحر المحيط ج٤/ ص٢٣٣.

لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ} [(١٣٦) سورة الأنعام].

◘ {حرمت ظهورها}: قرأ بإدغام التاء في الظاء أبو عمرو والأزرق وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف.

◘ {افْتِرَاء عَلَيْهِ}: رقق الأزرق راء افتراء عليه و افتراء على الله بخلفه.

◘ {خالصة} عن المطوعي {خالصُهُ}: برفع الصاد والهاء وبحذف التنوين، على أنه مبتدأ ولذكورنا خبره ، والجملة خبر الموصول.

والجمهور: {خالصة} بالتأنيث إما حملاً على المعنى؛ لأن الذي في بطونها أنعام، ثم حمل على اللفظ في قوله: { ومحرم}، وإما للمبالغة كعلامة ونسابة [١].

قوله: { إلا من نشاء } من في موضع رفع بيطعم.

قوله: {افتراء} مصدر نصب على المفعول من أجله، أو على إضمار فعل، تقديره: يفترون ذلك [٢].

معنى الآية:

قوله تعالى: {وَقَالُواْ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} [(١٣٨) سورة الأنعام].

◘ في هذه الآية يخبر سبحانه وتعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين، أنهم كانوا يحرمون ويحللون من قبل أنفسهم، من غير أن يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك. وذلك أن الأنعام التي أحلها الله لهم عموماً، وجعلها رزقاً ورحمة يتمتعون بها وينتفعون، قد اخترعوا فيها بدعاً وأقوالاً من تلقاء

---

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٥، مشكل إعراب القرآن ج١/ص٢٧٢.

(٢) مشكل إعراب القرآن ج١/ص٢٧٢، تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٣.

أنفسهم، وقد ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ثلاثة من أنواع المحرمات في أصول أموالهم من الحرث والأنعام وهي:

القسم الأول: قالوا: { لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاء}.

القسم الثاني: من أنعامهم الذي قالوا فيه: {وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا}.

القسم الثالث: {وأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا}.

◘{هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نّشَاء بِزَعْمِهِمْ}:

المراد بالأنعام والحرث في الآية:

يحتمل فيها معنيان:

الأول: يعني بالأنعام والحرث ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم التي قد مضى ذكرها في الآية(١٣٦).

الثاني: وقيل: إن الأنعام السائبة والوصيلة والبحيرة التي سموا .

عن مجاهد: الأنعام السائبة والبحيرة التي سموا [١].

"قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباسﷺ: الحجر الحرام مما حرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا ، وكذلك قال مجاهد والضحاك والسدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم[٢].

قال الماوردي: "وفي الأنعام والحرث التي قالوا: إنه لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم قولان:

الأول: أن الأنعام التي يحكمون فيها بهذا الحكم عندهم هي البَحِيْرَة والحام خاصة، والحرث ما جعلوه لأوثانهم ، قاله الحسن، ومجاهد.

الثاني: أن الأنعام هي ذبائح الأوثان، والحرث ما جعلوه لها"[٣].

المراد بقوله: {لا يطعمها إلا من نشاء}:

---

(١) تفسير الطبري ج٨/ص٤٤.

(٢) تفسير الطبري ج٨/ص٤٦.

(٣) الماوردي ج١/ص٤٤٨.

ورد في ذلك عدة أقوال:

١- أي لا يجوز أن يطعمه أحد إلا من أردنا أن نطعمه أو وصفناه بوصف من عندنا .

وقال السدي: {لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم} يقولون: حرام أن يطعم إلا من شئنا(١).

٢- أن هذه الآية الكريمة كقوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ}[(٥٩) سورة يونس] وكقوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ}[(١٠٣) سورة المائدة] أي حرموا أنعاماً وحرثاً وجعلوها لأصنامهم، وقالوا : لا يطعمها إلا من نشاء، وهم خدام الأصنام (٢).

٣- قال الكلبي : جعلوها للرجال دون النساء (٣).

٤- عكس القول الثالث، أي جعلوها للنساء دون الرجال، أورد هذا القول ابن الجوزي فقال: "قوله تعالى: {لا يطعمها إلا من نشاء} هو كقولك: لا يذوقها إلا من نريد، وفيمن أطلقوا له تناولها قولان:

أحدهما: أنهم منعوا منها النساء، وجعلوها للرجال، قاله ابن السائب.

والثاني: عكسه، قاله ابن زيد"(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨١.

(٢) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٤.

(٣) الماوردي ج١/ص٤٤٨، التفسير الكبير ج١٣/ص١٧٠، تفسير البغوي ج٢/ص١٣٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٠، زاد المسير ج٣/ص١٣١.

(٤) زاد المسير ج٣/ص١٣١.

{بزعمهم}: أي: وكل هذا بزعمهم، وبتقولهم الذي هو أقرب إلى الباطل منه إلى الحق، وزعمهم هنا هو في قولهم: حجر، وتحريمهم بذلك ما لم يحرم الله تعالى(١).

قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن هذا التحريم زعم منهم، لا حجة فيه ولا برهان (٢).

◘ {وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا}:

في تحديد المراد منها عدة أقوال:

١- يريد ما يسيبونه لآلهتهم على ما تقدم من النصيب الوارد في الآية (١٣٦) (٣).

٢- أنها أنعام ليست محرمة من كل وجه، بل يحرمون ظهورها، أي بالركوب والحمل عليها، ويحمون ظهرها ويسمونها الحام.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وحرم هؤلاء الجهلة من المشركين ظهور بعض أنعامهم، فلا يركبون ظهورها، وهم ينتفعون برسلها ونتاجها وسائر الأشياء منها، غير ظهورها للركوب"(٤).

٣- وقال السدي: أما الأنعام التي حرمت ظهورها: فهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

٤- وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود: قال لي أبو وائل: أتدري ما في قوله: {وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها}؟ قلت: لا. قال: هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١، تفسير القرطبي ج٧/ص٩٤، زاد المسير ج٣/ص١٣١.

(٢) زاد المسير ج٣/ص١٣١.

(٣) تفسير البغوي ج٢/ص١٣٤.

(٤) تفسير الطبري ج٨/ص٤٦.

قال الماوردي: "فيها قولان :

أحدهما : أنها السائبة .

والثاني : أنها التي لا يحجون عليها ، قاله أبو وائل" [١].

وقال ابن الجوزي: "وفي قوله: {وأنعام حرمت ظهورها} ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحام، قاله ابن عباس، والثاني: البحيرة كانوا لا يحجون عليها، قاله أبو وائل، والثالث: البحيرة والسائبة والحام، قاله السدي" [٢].

وأنعام حرمت ظهورها "كانت للعرب سنن إذا فعلت الناقة كذا من جودة النسل والمواصلة بين الإناث ونحوه حرم ظهورها فلم تركب، وإذا فعل الفحل كذا وكذا حرم فعدد الله ذلك على جهة الرد عليهم إذ شرعوا ذلك برأيهم وكذبهم"[٣].

◘ { وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا }: أنعام لا يذكرون اسم الله عليها، بل يذكرون اسم أصنامهم، وما كانوا يعبدون من دون الله عليها[٤] .

قال مجاهد: كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها، ولا في شيء من شأنها، لا إن ركبوا ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا ولا إن نتجوا، ولا إن عملوا شيئاً.

قال الطبري: "وحرموا من أنعامهم أنعاماً أخر فلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحال ولا إن حلبوها ولا إن حملوا عليها "[٥].

---

(١) الماوردي ج١/ص٤٤٨.

(٢) زاد المسير ج٣/ص١٣٢.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١، تفسير البيضاوي - (ج ٢ / ص ٢٠٩).

(٤) تفسير الطبري ج٨/ص٤٦، تفسير البغوي ج٢/ص١٣٤.

(٥) تفسير الطبري ج٨/ص٤٦، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٠.

{ وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا } وهي قربان أوثانهم يذكرون عليها اسم الأوثان ، ولا يذكرون عليها اسم الله تعالى [١].

قال أبو وائل: "معناه لا يحجون عليها، ولا يركبونها لفعل الخير؛ لأنه لما جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير، عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير"[٢].

قوله تعالى: {وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها} هي قربان آلهتهم يذكرون عليها اسم الأوثان خاصة، وقال أبو وائل: هي التي كانوا لا يحجون عليها، وقد ذكرنا هذا عنه في قوله: (حرمت ظهورها) فعلى قوله الصفتان لموصوف واحد، وقال مجاهد: كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء لا إن ركبوا ولا إن حملوا ولا إن حابوا ولا إن نتجوا[٣].

(وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) قيل: كانت لهم سنة في أنعام ما أن لا يحج عليها فكانت تركب في كل وجه إلا في الحج فذلك قوله: وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) هذا قول جماعة من المفسرين" [٤].

◘ {افْتِرَاء عَلَيْهِ} : أي للافتراء على الله؛ لأنهم كانوا يقولون: الله أمرنا بهذا، فينسبون تلك الأفعال إلى الله وينسبونها إلى دينه وشرعه، وهم كذبة فجار في ذلك، فإنه لم يأذن لهم في ذلك ولا رضيه منهم[٥].

قال الماوردي: "{ افْتِرَآءً عَلَيْهِ } أي على الله وفيه قولان :

---

(١) الماوردي ج١/ص٤٤٨.

(٢) تفسير البغوي ج٢/ص١٣٤.

(٣) زاد المسير ج٣/ص١٣٢.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١، زاد المسير ج٣/ص١٣١.

(٥) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٥، وتفسير السعدي ج١/ص٢٧٥، وتفسير البغوي ج٢/ ص١٣٤، وتفسير ابن كثير ج٢/ص١٨١.

أحدهما : أن إضافتهم ذلك إلى الله هو الافتراء عليه؛ لأنهم كانوا يقولون: هو حرم ذلك.

والثاني : أن ذكرهم أسماء أوثانهم عند الذبيحة بدلاً من اسم الله هو الافتراء عليه " [1].

◘ { سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ } : سيجزيهم بما كانوا يفترون على الله، ويسندون إليه من إحلال الشرك وتحريم الحلال، من الأكل والمنافع ومن آرائهم السخيفة، والمقصود منه الوعيد [2].

(١) الماوردي ج١/ص٤٤٨، زاد المسير ج٣/ص١٣٢.

(٢) التفسير الكبير ج١٣/ص١٧٠، وتفسير السعدي ج١/ص٢٧٥، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١.

المبحث الرابع: عادات المشركين الفاسدة في أجنة الأنعام وألبانها، الآية (١٣٩).

قال تعالى: {وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [(١٣٩) سورة الأنعام].

معاني المفردات:

◘ {بطون}: جمع بطن، وأصل البطن: الجارحة وجمعه بطون، قال تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [(٣٢) سورة النجم].

والبطن خلاف الظهر في كل شيء، ويقال للجهة السفلى: بطن، وللجهة العليا: ظهر، وبه شبه بطن الأمر وبطن البوادي والبطن من العرب، اعتباراً بأنهم كشخص واحد، وأن كل قبيلة منهم كعضو بطن وفخذ وكاهل [(١)].

◘ **{ خَالِصَةٌ}:**

خلص خلوصاً وخالصة صار خالصاً، و إليه خلوصاً، والخلص محركة شجر كالكرم يتعلق بالشجر.

والخالص كالصافي، إلا أن الخالص هو: ما زال عنه شوبه، بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلصته فخلص[(٢)].

◘ {وصفهم}: وصفه يصفه وصفاً وصفة: نعته فاتصف، والاسم الايصاف والوصافة، وتواصفوا الشيء وصفه بعضهم لبعض، واستوصفه لدائه: سأله أن يصف له ما يتعالج به، والصفة كالعلم والسواد، وأما النحاة فإنما يريدون بها

(١) المفردات في غريب القرآن ج١/ص٥١، القاموس المحيط ج١/ص١٥٢٣.

(٢) القاموس المحيط ج١/ص٧٩٦ ، والمفردات في غريب القرآن ج١/ص١٥٤.

النعت، وهو اسم الفاعل والمفعول أو ما يرجع إليهما من طريق المعنى كمثل وشبه [١].

◘ **{ على أزواجنا } :**

الزوج: البعل والزوجة، وخلاف الفرد، والنمط يطرح على الهودج، واللون من الديباج ونحوه، ويقال للاثنين: هما زوجان، وهما زوج، وزوَّجته امرأة، وتزوَّجتُ امرأة، وبها، أو هذه قليلة، وامرأة مزواج: كثيرة التزوج. وكثيرةُ الزِّوَجَة: أي الأزواج [٢].

أوجه الإعراب:

◘ {ما في بطون}: {ما}: بمعنى الذي في موضع رفع بالابتداء.

◘{خالصة}: خبر {ما}.

وفي توجيه القراءة بتاء التأنيث أقوال:

الأول: أن التاء للتأنيث، بناء على أن قوله: {ما} عبارة عن الأجنة، فأنث على المعنى[٣].

الثاني: التأنيث على المبالغة، كعلامة ونسابة، وكراوية الشعر أي كثير الرواية له [٤].

الثالث: التاء للنقل إلى الأسمية.

---

(١) القاموس المحيط ج١/ص١١١١.

(٢) القاموس المحيط ج١/ص٢٤٦.

(٣) الحجة في القراءات السبع ج١/ص١٥١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١، التفسير الكبير ج١٣/ص١٧١.

(٤) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٥، و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٥، وروح المعاني ج٨/ص٣٥، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١، التفسير الكبير ج١٣/ص١٧١.

الرابع: لأن الخالصة مصدر ،كما قال الفراء، كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة، أو بتقدير ذو، وهذا مستفيض في كلام العرب، تقول: فلان خالصتي: أي ذو خلوصي.

قيل: مجيء المصدر بوزن فاعل وفاعله قليل(١).

الخامس: أن يكون التأنيث على معنى {ما}، والتذكير على اللفظ، والدليل على هذا أن بعده {ومحرم على أزواجنا} على اللفظ، فالتقدير: وقالوا الأنعام التي في بطون هذه الأنعام خالصة (٢).

هذه التوجيهات على قراءة الجمهور، والآية فيها قراءات أخرى، سيأتي ذكرها، وبيان توجيهاتها.

- {لذكورنا}: متعلق بخالصة، أو بمحذوف على أن يكون صفة لخالصة.
- {ومحرم}: جاء على التذكير حملاً على لفظ {ما}.(٣)

قال الألوسي: "والتذكير في قوله تعالى: {ومحرم على أزواجنا}: أي على جنس أزواجنا، وهن الإناث

- {وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء}: {مَّيْتَةً}: على قراءة الجمهور، خبر كان منصوب.
- {سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ}: انتصب {وصفهم} بنزع الخافض أي بوصفهم، أي كذبهم وافتراءهم أي: يعذبهم على ذلك(٤).

أوجه القراءات وتوجيهاتها:

- {خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا}:

وردت فيها عدة قراءات وهي:

---

(١) روح المعاني ج٨/ص٣٥.

(٢) إعراب القرآن ج٢/ص٩٩، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١.

(٣) روح المعاني ج٨/ص٣٥.

(٤) تفسير السعدي ج١/ص٢٧٦.

١. {خَالِصَةٌ}: برفع خالصة والتأنيث، وهي قراءة العامة.

٢. {خَالِصَةً}: بالتأنيث والنصب على الحال، وبها قرأ قتادة وسفيان بن حسين، والعامل فيها: {ما في بطونها} من معنى الاستقرار والخبر لذكورنا، والنصب عند الفراء على القطع، وعند البصريين على الحال مما في المخفوض الأول، ولا يجوز أن يكون حالاً من المضمر الذي في الذكور، كما يجوز زيد قائماً في الدار؛ لأن العامل لا يتصرف، وإن كان الأخفش قد أجازه في بعض كتبه [١].

٣. {خَالِصٌ}: بغير تاء على الأصل، وهو تذكير {ما} في اللفظ، وبها قرأ عبد الله بن مسعود وابن جبير وابن أبي عبلة والأعمش[٢].

٤. {خَالِصاً}: وبها قرأ سعيد بن جبير[٣].

٥. {خَالِصُهُ}: بالرفع وبحذف التنوين والإضافة إلى هاء الضمير ، وهو مبتدأ و{لذكورنا}: خبره والجملة خبر {ما} ويجوز أن (خالصه) بدلاً من {ما}وبها قرأ ابن عباسﷺ [٤].

◘ {وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء}:

١. { يكن ميتةً}: بالياء ونصب ميتة، حملاً على لفظ {ما} بمعنى وإن يكن ما في بطونها ميتة، وبها قرأ نافع وأبو عمرو وحفص وحمزة والكسائي وكذا يعقوب وخلف (يكن) بالتذكير (ميتة) بالنصب وافقهم اليزيدي والأعمش[٥].

---

(١) إعراب القرآن ج٢/ص٩٩.

(٢) إعراب القرآن ج٢/ص٩٩-١٠٠، و روح المعاني ج٨/ص٣٥ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١.

(٤) إعراب القرآن ج٢/ص٩٩-١٠٠، و الحجة في القراءات السبع ج١/ص١٥١، و روح المعاني ج٨/ص٣٥، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١.

(٥) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٥.

٢. { يكن ميتةٌ}: بالرفع بمعنى تقع، وقال الأخفش: أي وإن تكن في بطونها ميتة ، وبها قرأ ابن كثير والداجوني من أشهر طرقه عن هشام (يكن) بالتذكير (ميتة) بالرفع فلا خلاف عن هشام في رفع ميتة [١]. [٢].

٣. { تكن ميتةً}: بالتاء ونصب (ميتة)، أي: إن تكن الأنعام ميتة ، وبها قرأ عاصم برواية أبى بكر عنه ووافقه الحسن [٣].

٤. { تكن ميتةٌ}: بالتاء ورفع (ميتة) على أن كان هي التامة، وبها قرأ ابن عامر من غير طريق الداجوني عن هشام، وكذا أبو جعفر (تكن) بالتأنيث (ميتة) بالرفع.

٥. { تكن ميّتةٌ}: بتشديد (ميتة) وبها قرأ ابن محيصن وأبو جعفر [٤].

والتأنيث بمعنى وإن تكن الحمول ميتة.

قال أبو حاتم: وإن تكن النسمة ميتة [٥].

قال أبو عمرو بن العلاء: الاختيار (يكن) بالياء لأن بعده {فهم فيه} ولم يقل: {فيها}.

{وإن يكن ميتة } قرئ بالياء والتاء، أي إن يكن ما في بطون الأنعام ميتة فهم فيه شركاء أي الرجال والنساء، وقال فيه: لأن المراد بالميتة الحيوان وهي

---

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٥ ، وإعراب القرآن ج٢/ص١٠٠.

(٢) إعراب القرآن ج٢/ص١٠٠، تفسير القرطبي ج٧/ص٩٦.

(٣) إعراب القرآن ج٢/ص١٠٠، تفسير القرطبي ج٧/ص٩٦.

(٤) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ج١/ص٢٦٣ ،وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٥، العنوان في القراءات السبع – (ج ١ / ص ١٤) الحجة في القراءات السبع ج١/ص١٥١.

(٥) إعراب القرآن ج٢/ص١٠٠، تفسير القرطبي ج٧/ص٩٦ ، وتفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٥.

تقوي قراءة الياء ولم يقل فيها (ميتة) بالرفع بمعنى تقع أو تحدث (ميتة) بالنصب أي وإن تكن النسمة ميتة [1].

أما قراءة ابن عامر فوجهها: أنه ألحق الفعل علامة التأنيث لما كان الفاعل مؤنثاً في اللفظ، وأما قراءة ابن كثير فوجهها: أن قوله: (مَيْتَةً) اسم يَكُنِ وخبره مضمر، والتقدير: وإن يكن لهم ميتة، أو وإن يكن هناك ميتة، وذُكِّر لأن الميتة في معنى الميت. قال أبو علي: لم يلحق الفعل علامة التأنيث لما كان الفاعل المسند إليه تأنيثه غير حقيقي، ولا يحتاج الكون إلى خبر لأنه بمعنى حدث ووقع، وأما قراءة عاصم (تَكُنْ) بالتاء (مَيْتَةً) بالنصب فالتقدير: وإن تكن المذكور ميتة، فأنث الفعل لهذا السبب. وأما قراءة الباقين: وَإِن (يَكُنْ) بالياء (مَيْتَةً) بالنصب فتأويلها: وإن يكن المذكور ميتة، ذكروا الفعل لأنه مسند إلى ضمير ما تقدم في قوله: {مَا فِى بُطُونِ هَذِهِ الانْعَامِ} وهو مذكر، وانتصب قوله: {مَيْتَةً} لما كان الفعل مسنداً إلى الضمير" [2].

◘{فهم فيه}: ذكّر الضمير حملاً على {ما}[3].

معنى الآية:

{وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [(١٣٩) سورة الأنعام].

---

(١) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٦.

(٢) التفسير الكبير ج١٣/ص١٧١، تفسير البغوي ج٢/ص١٣٥.

(٣) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ج١/ص٢٦٣ ، وتفسير القرطبي ج٧/ص٩٦.

◘ في هذه الآية بيان لنوع آخر من جهالاتهم، ومذاهبهم الفاسدة والباطل الذي ارتكبوه بتزيين الشيطان لهم، وكانت سنتهم في بعض الأنعام أن يحرموا ما ولدت على نسائهم، ويخصصونه لذكورهم [1] وفيما يأتي بيان ذلك:

◘ {مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ}:

في معنى ذلك ثلاثة أقاويل :

الأول: أن ما في بطونها الأجنة ، قاله : مجاهد .

الثاني: الألبان ، قاله ابن عباس وقتادة والشعبي.

الثالث: الجميع: فاللفظ يعم الأجنة والألبان، قاله مقاتل واختاره الطبري[2].

ولعل الراجح هو القول الأول؛ لدلالة ظاهر السياق، قال أبو حيان: "والظاهر الأجنة؛ لأنها التي في البطن حقيقة، وأما اللبن ففي الضرع لا في البطن إلا بمجاز بعيد[3].

◘{خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا}:

ومعناه مترتب على المقصود من {ما في بطون}:

١- فعلى القول بأنه اللبن يكون المعنى كما بينه ابن عباس فقال ﷺ : هو اللبن جعلوه حلالاً للذكور وحراماً على الإناث.

٢- وعلى القول بأنها الأجنة، فيكون المراد: أن الأجنة للذكور، ثم إن مات منها شيء أكله الرجال والنساء[4].

وعلى القول بأن اللفظ يعمهما يكون المعنى كما بينه ابن كثير فقال: "فهو اللبن كانوا يحرمونه على إناثهم، ويشربه ذكرانهم، وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج٢/ص٢٧٨، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥١، التفسير الكبير ج١٣/ص١٧١، تفسير السعدي ج١/ص٢٧٦.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٢، الماوردي ج١/ص٤٤٩، زاد المسير ج٣/ص١٣٢، تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٣، تفسير البغوي ج٢/ص١٣٤، روح المعاني ج٨/ص٣٥.

(٣) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٣، تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨١.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٢، الماوردي ج١/ص٤٤٩.

ذبحوه، وكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء، فنهى الله عن ذلك، وكذا قال السدي، وقال الشعبي: "البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء، وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم"[١].

◘ {أزواجنا}:

في بيان معناه قولان:

الأول: أي: نسائنا ، يريد به جماعة النساء التي هي معدة أن تكون أزواجاً. قاله مجاهد.

الثاني: أي: بناتنا، عن ابن زيد أن المراد بـــ{أزواجنا} البنات [٢].

وفي جعلهم ذلك لذكورهم دون إناثهم وأزواجهم ثلاثة أقوال :

الأول : لأن الذكور هم خدام الأوثان .

الثاني : تفضيلاً للذكور على الإناث.

الثالث: مجموع الأول والثاني [٣].

وأصل الذكور من الذِّكْر ، وفي أخذه من الذِّكْر وجهان :

الأول : لأنه المذكور بين الناس فكان أنبه ذِكْراً من الأنثى .

الثاني : لأنه أشرف ، والذِّكْر هو الشرف ، قاله الله تعالى : { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ } [الزخرف : ٤٤] أي شرف" [٤].

◘{وإن يكن ميتة فهم فيه سواء}:

كان من سنتهم أن ما خرج من الأجنة ميتاً من تلك الأنعام الموقوفة، فهو حلال للرجال والنساء جميعاً، وكذلك ما مات من الأنعام الموقوفة نفسها[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨١.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٢، و تفسير البحر المحيط ج٤/ ص٢٣٤.
(٣) الماوردي ج١/ص٤٤٩.
(٤) الماوردي ج١/ص٤٤٩، أحكام القرآن لابن العربي ج٢/ص٢٧٨.
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٢.

◘ {سيجزيهم وصفهم } :

أعقب الله تعالى بوعيدهم على ما وصفوا، أنه من القربات إلى الله تعالى، وشرعوه من الباطل والإفك حيث وصفوا ما أحله الله بأنه حرام ووصفوا الحرام بالحلال، فناقضوا شرع الله وخالفوه ونسبوا ذلك إلى الله [١].

وهو كقوله تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ} [(١١٦) سورة النحل].

◘ {إنه حكيم عليم}:

{حكيم} : أي حكيم في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، حيث أمهل لهم ومكنهم مما هم فيه من الضلال، وحكيم في عذابهم على ذلك [٢].

{عليم} : عَلِيمٌ بهم وبأحوالهم، لا تخفى عليه خافية، وهو تعالى يعلم بهم، وبما قالوه عليه وافتروه، وهو يعافيهم ويرزقهم جل جلاله، وعليم بأعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم عليها أتم الجزاء [٣].

قال الألوسي:" {إنه حكيم عليم}: تعليل للوعد بالجزاء، فإن الحكيم العليم بما صدر عنهم، لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة"[٤].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٢، تفسير القرطبي ج٧/ص٩٦، زاد المسير ج٣/ص١٣٣، وتفسير السعدي ج١/ص٢٧٦، الوجيز للواحدي ج ١ / ص ٢٠٨، وتفسير البيضاوي ج ٢ / ص ٢٠٩، وأيسر التفاسير للجزائري ج ١/ ص ٤٣٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٢، تفسير البغوي ج٢/ص١٣٥، تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨١، تفسير السعدي ج١/ص٢٧٦.

(٣) تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٥، زاد المسير ج٣/ص١٣٢، تفسير البغوي ج٢/ص١٣٥، التفسير الكبير ج١٣/ص١٧١، تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨١، تفسير السعدي ج١/ص٢٧٦.

(٤) روح المعاني ج٨/ص٣٦.

المبحث الخامس: تذييل ببيان خسران المشركين وسفاهتهم في عاداتهم الباطلة، الآية (١٤٠).

{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} [(١٤٠) سورة الأنعام].

معاني المفردات:

◘{سَفَهًا}:

السّفَه: خفة الحلم، أو نقيضه، أو الجهل، وسفه نفسه ورأيه- مثلثة- : حمله على السفه، أو نسبه إليه، أو أهلكه، و الطعنة أسرع منها الدم وجف، و الشراب أكثر منه، فلم يرو، وسفه كفرح، وكرم علينا: جهل كتسافه فهو سفيه، جمعه: سفهاء وسفاه [١].

و{ سفهاً بغير بعلم } : حمقاً وطيشاً وعدم رشد وذلك لجهلهم [٢].

أوجه القراءات:

◘{ قَتَّلُواْ }: بتشديد التاء على المبالغة بمعنى التكثير، وبها قرأ الحسن والسلمي، وأهل مكة والشام ومنهما ابن كثير وابن عامر[٣].

◘{قَتَلُواْ }: بتخفيف التاء، وبها قرأ الباقون [٤].

◘{سُفَهَاء}: برفع السين وفتح الفاء والهاء وبالمد وبالنصب والهمز، على الجمع، وبها قرأ ابن السميفع والجحدري ومعاذ القارئ [٥].

---

(١) القاموس المحيط ج١/ص١٦٠٩.

(٢) أيسر التفاسير للجزائري - (ج ١ / ص ٤٣٧).

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ج١/ص٢٧٦، العنوان في القراءات السبع - (ج ١ / ص ١٤) وتفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٥.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٢.

(٥) زاد المسير ج٣/ص١٣٤، وتفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٥، وتفسير البغوي ج٢/ص١٣٥.

◘ {سَفَهًا}: وبها قرأ الجمهور.

سبب نزول الآية:

نزلت في ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم، كانوا يدفنون البنات أحياء مخافة السبي والفقر، فنزلت هذه الآية في ذلك إخباراً بخسران فاعل ذلك .

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن عكرمة في قوله: { قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم } قال : نزلت فيمن كان يئد البنات من مضر وربيعة ، كان الرجل يشترط على امرأته إنك تئدين جارية وتستحيين أخرى ، فإذا كانت الجارية التي توأد غداً من عند أهله أو راح وقال : أنت علي كأمي إن رجعت إليك ولم تئديها ، فترسل إلى نسوتها فيحفرن لها حفرة فيتداولنها بينهن ، فإذا بصرن به مقبلاً دسسنها في حفرتها وسوّين عليها التراب [١].

معنى الآية:

{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} [(١٤٠) سورة الأنعام].

في هذه الآية تذييل ببيان خسران المشركين لوأدهم البنات، وتحريمهم البحيرة وغيرها، بعقولهم، فقتلوا أولادهم سفهاً، خوف الإملاق، وحجروا على أنفسهم في أموالهم، ولم يخشوا الإملاق، فأبان ذلك عن تناقض رأيهم[٢].

◘ { قَدْ خَسِرَ الذين قَتَلُواْ أولادهم }: أي خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم، وصار وصفهم بعد العقول الرزينة السفه المردي والضلال وهذا اللفظ يتضمن التشنيع بقبح فعلهم، والتعجب من سوء حالهم، في وأدهم البنات وحجرهم الأنعام والحرث [٣].

---

(١) الدر المنثور – (ج ٤ / ص ١٤٣).
(٢) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٦.
(٣) تفسير السعدي ج١/ص٢٧٦.

قال عكرمة: والمراد بهم في الآية هم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي أو الفقر[١].

قال القرطبي:" إنه كان من العرب من يقتل ولده خشية الإملاق، كما ذكر الله عز وجل في غير هذا الموضع، وكان منهم من يقتله سفهاً بغير حجة منهم في قتلهم، وهم ربيعة ومضر كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية، ومنهم من يقول: الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات بالبنات[٢].

قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: وكان جمهور العرب لا يفعله، ثم إن فاعليه كان منهم من يفعله خوف العيلة والإقتار، وكان منهم من يفعله غيرة مخافة السباء [٣].

◘ {سفها بغير علم}: أي كانوا يفعلون ذلك السفه من غير أن أتاهم علم في ذلك، وحرموا ما رزقهم الله من الأنعام والحرث، وزعموا أن الله أمرهم بذلك" [٤].

◘ { وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ الله } أي ما جعله رحمة لهم وساقه رزقاً لهم، فردوا كرامة ربهم، ولم يكتفوا بذلك بل وصفوها بأنها حرام، وهي من أحل الحلال[٥].

والمقصود به ما ورد من تحريمهم لبعض الأنعام والحرث في الآيات السابقة، والله أعلم.

◘ { افتراء عَلَى الله } أي كذب يكذب به كل معاند كفار"[٦] .

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري – (ج ١ / ص ٤٣٧).
(٢) تفسير القرطبي ج٧/ص٩٦.
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٢.
(٤) زاد المسير ج٣/ص١٣٤.
(٥) تفسير السعدي ج١/ص٢٧٦.
(٦) تفسير ابن كثير ج٢/ص١٨٢، و تفسير السعدي ج١/ص٢٧٦.

◘ { قَدْ ضَلُّواْ}: قد ضلوا ضلالاً بعيداً إخباراً عنهم بالحيرة، وهو من التعجيب بمنزلة قوله: {قد خسر}.

◘ {وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ } أي: ولم يكونوا مهتدين في هذه الفعلة،ولا في شيء من أمورهم إلى الحق والصواب. ويحتمل أن يريد: وما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعلة مهتدين، ولكنهم زادوا بهذه الفعلة ضلالاً [1].

أسباب استحقاقهم الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة:

بينت هذه الآية سبعة صفات مذمومة اتصف بها المشركون، واستحقوا بسببها الذم، والعقاب في الآخرة، وذلك بسبب قتلهم أولادهم، وتحريم ما أحل الله، وقد تقدم في الآية(١٣٧): قتلهم أولادهم، والآيات(١٣٦، ١٣٨، ١٣٩) : بينت تحريمهم ما رزقهم الله، ثم إنه تعالى جمع هذين الأمرين في هذه الآية (١٤٠)، حيث قال سبحانه: { قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} وقال: {وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ}.

وبيّن ما لزمهم على هذا الحكم، وهو الخسران والسفاهة، وعدم العلم وتحريم ما رزقهم الله، والإفتراء على الله، والضلال وعدم الاهتداء، فهذه أمور سبعة، وكل واحد منها سبب تام في حصول الذم.

أما الأول: وهو الخسران، وذلك لأن الولد نعمة عظيمة من الله على العبد، فإذا سعى في إبطاله فقد خسر خسراناً عظيماً، لا سيما وأنه يستحق على ذلك الإبطال الذم العظيم في الدنيا، والعقاب العظيم في الآخرة.

أما الذم في الدنيا: فلأن الناس يقولون: قتل ولده خوفاً من أن يأكل طعامه، وليس في الدنيا ذم أشد منه.

وأما العقاب في الآخرة: فلأن قرابة الولادة أعظم موجبات المحبة، فمع حصولها إذا أقدم على إلحاق أعظم المضار به، كان ذلك أعظم أنواع الذنوب، فكان موجباً لأعظم أنواع العقاب.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢/ص٣٥٣.

والنوع الثاني: السفاهة، وهي عبارة عن الخفة المذمومة، وذلك لأن قتل الولد إنما يكون للخوف من الفقر، والفقر وإن كان ضرراً إلا أن القتل أعظم منه ضرراً، وأيضاً فهذا القتل ناجز، وذلك الفقر موهوم، فالتزام أعظم المضار على سبيل القطع حذراً من ضرر قليل موهوم لا شك أنه سفاهة.

والنوع الثالث: قوله: {بِغَيْرِ عِلْمٍ}: فالمقصود أن هذه السفاهة إنما تولدت من عدم العلم، ولا شك أن الجهل أعظم المنكرات والقبائح .

والنوع الرابع: تحريم ما أحل الله لهم، وهو أيضاً من أعظم أنواع الحماقة؛ لأنه يمنع نفسه تلك المنافع والطيبات، ويستوجب بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العذاب والعقاب [١].

والنوع الخامس: الافتراء على الله، ومعلوم أن الجراءة على الله، والافتراء عليه أعظم الذنوب وأكبر الكبائر.

والنوع السادس: الضلال عن الرشد في مصالح الدين ومنافع الدنيا.

والنوع السابع: أنهم ما كانوا مهتدين.

والفائدة فيه: أنه قد يضل الإنسان عن الحق، إلا أنه يعود إلى الاهتداء، فبين تعالى أنهم قد ضلوا، ولم يحصل لهم الاهتداء قط، فثبت أنه تعالى ذم الموصوفين بقتل الأولاد، وتحريم ما أحله الله تعالى لهم، بهذه الصفات السبعة الموجبة لأعظم أنواع الذم، وذلك نهاية المبالغة" [٢].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} [(١٤٠) سورة الأنعام][٣].

---

(١) التفسير الكبير ج١٣/ص١٧٢، تفسير البحر المحيط ج٤/ص٢٣٥.
(٢) التفسير الكبير ج١٣/ص١٧٢.
(٣) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب، رقم (٣٥٢٤).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، أما بعد...

فقد تمّت بحمد الله كتابة هذا البحث الذي كان عنوانه: تفسير الآيات (١٣٦-١٤٠) من سورة الأنعام، دراسة في التفسير ومصادره.

وقد خرجت من هذا البحث بنتائج عديدة وتوصيات، وسأبين أهمها فيما يأتي:

أهم النتائج:

١. بيان اسم السورة، وسبب تسميتها.

٢. بيان الخلاف في مكية السورة ومدنيتها، وأن الراجح هو أنها مكية إلا آيات منها.

٣. بيان عادات المشركين الفاسدة في نتاج أموالهم، حيث كانوا يقسمون نتائج أموالهم من الحرث والأنعام، فيسمون قسماً لله وقسماً آخر لأصنامهم، وقد بيّن الله تعالى فساد تقسيمهم هذا، كما بيّن سبحانه وتعالى، أنهم يجورون في تقسيمهم هذا، فما كان لشركائهم فهو لا يصل إلى الله، أما ما كان لله فهو يصل إلى شركائهم.

٤. بيان عادات المشركين الفاسدة في قتلهم أولادهم.

٥. بيان أن العرب ليس كلُّهم كانوا يقتلون البنات، وإنما بعضُهم كان يفعل ذلك، وهم المقصودون بالذم في الآيات.

٦. بيان عادات المشركين الفاسدة في أصول أموالهم، حيث يجرمون بعض أصول حرثهم وأنعامهم.

٧. بيان عادات المشركين الفاسدة في أجنة الأنعام، حيث يحرمون ما في بطون الأنعام المحرمة على النساء، ويحلونا للرجال، أما إذا كانت ميتة، فيجعلونها حلالاً للجميع.

٨. بيان فساد عادة المشركين في تفضيلهم الذكور على الإناث، ويظهر ذلك من قتلهم للبنات، ومن تحريمهم لما في بطون بعض الأنعام على الإناث.

٩. تذييل ببيان خسران المشركين، وسفاهتهم في عاداتهم الباطلة، حيث كان بعضهم يقتل البنات خشية الفقر والعيلة، وبعضهم يقتلهم خوفاً من العار والسبي، كما أنهم افتروا على الله تعالى بتحريم الحلال من الأنعام، وتقسيمها تقسيماً باطلاً.

أهم التوصيات:

أشجع على عمل تفسير مشترك بين الباحثين، يشمل تفسيراً لجميع سور القرآن الكريم، ويكون هذا التفسير من نوع التفسير المقارن، وتوحد الجهود لإخراجه إخراجاً جيداً، مخرجةً فيه الأحاديث، ومبيَّنةً فيه مفردات الغريب، ومقارناً فيه بين كلام المفسرين؛ حتى يصبح موسوعةً لتفسير القرآن الكريم.

أسأل الله تعالى أن ييسر لنا أمورنا كلَّها، ويرشدنا إلى الحق والصواب في الأقوال والأفعال، ويوفقنا للخير والهدى والصلاح، وأسأله تعالى أن يجزي شيوخنا الأفاضل الذين لم يبخلوا علينا بجهدهم أو علمهم، أسأله سبحانه أن يجزيهم عنا خير الجزاء، ويجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يمدهم بطول العمر ويمدهم بالصحة والعافية...إنه سميع عليم، وعلى الإجابة قدير...

وصلِّ اللهم على سيدنا ونبينا وقدوتنا خير الخلق محمد وعلى آله وصحبه الأخيار وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

فهرس الآيات

الآيـــــة	السورة	رقم الآية
{وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ...}	الأنعام	١٣٦
{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ ...}	الأنعام	١٣٧
{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...}	الأنعام	١٤٠
{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ ....}	الأنعام	٩١
{الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ...}	الأنعام	١
{وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى ... }	الأنعام	١٣٩
{وَقَالُواْ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاء بِزَعْمِهِمْ...}	الأنعام	١٣٨
{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ...}	الأنعام	١٤١
{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا ....}	الأنعام	١٥١
{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا ...}	الأنعام	١٤٠
{ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى }	الأنعام	٩١
{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ...}	الأنعام	٢٠
{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}	الأنعام	٢٣

{وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ ...}	الأنعام	٩٣
{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ...}	الأنعام	١١٤
{ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ...}	الأنعام	١٥٢
{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ ...}	الأنعام	١٥٣
{قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ ...}	المائدة	١١٩
{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }	الأنعام	١٣
{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ...}	الزمر	٧٥
{لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}	المائدة	١٢٠
{مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ ...}	المائدة	١٠٣
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ ...}	المائدة	٨٧
{وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}	النحل	٧٢
{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً}	البقرة	٢٢
{ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}	القصص	٧
{لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ}	فصلت	٤٩

{فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا...}	القصص	٨
{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ...}	الفرقان	٥٣
{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ ...}	النساء	١٥٧
{يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ ...}	الفرقان	٢٢
{هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ}	الفجر	٥
{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا ...}	يونس	٥٩
{مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ ...}	المائدة	١٠٣
{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ ...}	النجم	٣٢
{ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ }	الزخرف	٤٤
{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ ...}	النحل	١١٦

فهرس الأحاديث

(لما نزلت سورة الأنعام، سبح رسول الله ﷺ....)	١٠
(قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن ....)	٢٨

فهرس الغريب

أزواجنا	٥٣
افتراء	٤٣
الأنعام	١٨
بزعمهم	١٨
بطون	٥٢
حِجْر	٤٢
الحرث	١٧
خالصة	٥٢
ذرأ	١٧
زيَّن	٣١
سفهاً	٦١
ليردوهم	٣١
نصيباً	١٨
وجعلوا	١٦
وصفهم	٥٢
وليلبسوا	٣١

**

فهرس المراجع

***

-إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تأليف: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، دار النشر: شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض.

-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٩هـ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أنس مهرة.

-أحكام القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

-أسرار ترتيب القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا (ط: الثانية- ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) دار الاعتصام.

-إعراب القرآن، تأليف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، دار النشر: عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د.زهير غازي زاهد.

-إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، تأليف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار النشر: المكتبة العلمية – لاهور – باكستان، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض.

-أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري، مصدر الكتاب : موقع التفاسير.

-التحرير والتنوير ، للأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، تونس – دار سحنون ، ط: بدون.

-التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.

-تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل.

-تفسير البغوي، تأليف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

-تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١.

-التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

-تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع، لسيد لاشين أبو الفرح، وخالد بن محمد الحافظ العلمي (مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع- المدينة المنورة)، ط:الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.

-الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة.

-الحجة في القراءات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، دار النشر: دار الشروق - بيروت - ١٤٠١، الطبعة: الرابعة، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم.

-الدر المنثور في التأويل بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com .

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة.

-صفوة التفاسير، تأليف: محمد علي الصابوني، دار النشر: دار القرآن الكريم-بيروت، ط:السادسة،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

-طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية – ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.

-العنوان في القراءات السبع، لابن خلف المقرئ، مصدر الكتاب : موقع الوراق، http://www.alwarraq.com.

-مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، مصدر الكتاب : موقع يعسوب.

-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

-مشكل إعراب القرآن، تأليف: مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.

-النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار النشر: دار الكتب العلمية-لبنان، ومؤسسة الكتب الثقافية -لبنان.
-الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبعة، لعبدالفتاح عبدالغني القاضي (مكتبة السوادي للتوزيع-جدة) ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

* * *